قراءة في «عالم الكتب»

المجلد السابع عشر - العدد الأوّل

إبراهيم أحمد راشد السامرائي

كلية الآداب - جامعة صنعاء

قبل أن آتي إلى البحوث والمقالات أرى أن أعرب عن تأييدي لخطة المجلة في حذف ألقاب الكتّاب ولا سيما لقب «الدكتور» الذي لزمناه نحن العرب وحرصنا عليه مع علمنا أن هذا اللقب لا يشفع لحامله ولا يهبه ما ليس فيه . لقد حصل على هذا اللقب الجهّال في عالمنا العربي والإسلامي وفي الغرب، ووسائل الحصول معروفة مشهورة، والحكايات في ذلك كثيرة .

على أني أستثني أهل العلم الجادّين الذين كان لهم هذا اللقب بحقّ فقد صنّفوا وألّفوا وشهدت لهم أعمالهم . وليس للعلم ورقة كاذبة يفوز بها الأرذلون الجهّال ذلك أن حملة العلم الثقات في كل مكان فيهم الكثيرون ممن لا يعرفون هذا الأسلوب . وقد رأيت الكثير من الغربيين من الأمريكيين والإنجليز والفرنسيين لا يتّسمون بالدكتور وكانوا قد حصلوا على اللقب منذ سنين (١) .

وقد سار على هذا النهج التونسيون وأهل عامة بلدان المغرب ما عدا الجماهيرية الليبية العظمى . وقد عزفت منذ سنين عن حمل هذا اللقب لأني أحِسّ فيه دلالته القديمة وهي أن اللقب ذمٌّ ، ولكن المعربين صرفوه إلى المدح وتوسّعوا فيه فصار للذم والمدح ، وهذا مما نفيده من قول الشاعر القديم :

أكنيه حين أناديه لأكرمه ... ولا أُلَقِّبُه والسوأةَ اللَّقَبا

فاللّقب سوأة وذمّ ، والكنية تكريم ومدح . وهذا شاهد نحويّ قديم يعرفه الدارسون وفيه فائدة لغوية وتاريخية .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأتحوّل بعد هذه النبذة الموجز إلى الدرس الجاد الموسوم بـ «لغات تكشيف المعلومات» لصاحبه شكري عبدالسلام العناني . لقد اجتهد ورجع إلى مصادره الكثيرة وقدّم علمًا جيدًا للدارسين . وإن علم المعلومات جديد جاءنا فيما جاء من اجتهاد الغربيين ولا سيما الأمريكيين ، وقد يَسّر لنا الجهود المضنية التي كنا نعانيها في الحصول على حاجاتنا في الدرس (٢) .

ولهذا العلم الجديد «مصطلحه» الجديد الذي وصلنا إليه ونحن ننظر إلى أصوله في اللغة الإنجليزية . وإني لأقف عند «التكشيف» الذي يشير إلى «الكَشّاف» . وإني وغيري من القراء قد نبتعد عن خصوصية هذا المصطلح ، فهل لي أن أشير على الأخ صاحب الدرس أن يضع بعض ما يُيَسِّر هذا .

لقد عرفنا هذا المصطلح في كتاب من مصادر المعلومات في «العلوم والفنون» هو «كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي» ومن غير شك أن الجديد في «التكشيف» يبتعد عن هذا .

١ - وقد وجدت في هذا الدرس المفيد في الصفحة السادسة «الكلمات المفتاحية في التصنيف العشري العالمي» . ولو أن المعنيين بـ «علم المعلومات» كانوا على صلة بالتراث الإسلامي لعرفوا أن ابن النديم أشار إلى هذا في تصنيفه الذي جعله عشرة أبواب .

٢ - وقد وجدت في الصفحة الثامنة في «التكشيف المقيّد» قول صاحب هذا الدرس : "ومن أهم أنماطه" . أقول: واستعمال "الأنماط" هنا استعمال صحيح فصيح وأصله فارسيّ بمعنى "النوع" أو "المنهج" . وهو في الفصيحة القديمة :

النَّمَط : ظهارة الفراش ، وهو جماعة من الناس أمرهم واحد. وفي الحديث : "خير الناس هذا النَّمَط الأوسط" .

والنمط الطريقة . وفي معناه أيضًا الضَّرْب أو النوع .

وفي حديث عليّ - رضي الله عنه - : «خير هذه الأمة النَّمَط الأوسط يَلحقُ بهم التالي ويرجع إليهم الغالي». أراد أنه كره الغلوّ والتقصير في الدين .

وقال الأزهري : النَّمَط ضروب الثياب المصبَّغة ، وهو أيضًا ضَرْب من البُسُط ، ولذلك نُسب إلى جمعه «الأنماط» فقالوا: الأنماطيّ لمن يبيع هذه الثياب أو هذه البُسُط.

٣ - وجاء في الصفحة (٢١) قوله : «متغيرات داخلية (وظيفية)» .

أقول : «الوظيفية نسبة إلى الوظيفة» . وهذه «الوظيفة» في عصر انصرفت إلى معنى خاصّ، فالمتغيرات الداخلية في قول الكاتب تؤدّي عملاً خاصاً .

وأعود إلى «الوظيفة» فأجدها من الألفاظ العبّاسية وتدلّ على المنحة المخصصة للجند أو غيرهم من العاملين في الدولة ، فيقال مثلاً : وللجند وظيفة في الخبز أو اللبن أو غير هذا، بمعنى ما يمنح من قَدر من هذه المواد الضرورية .

أقول : نجد هذا المصطلح في التاريخ الغياثي ، والحوادث الجامعة، وأدب العالم والمتعلّم .

وأتحوّل «لمفهوم التصحيف» لوليد محمد السراقبي من مدينة العين في الإمارات العربية المتحدة .

أقول : استقرى الكاتب مفهوم التصحيف في المعجمات واستوفى مادته .

غير أن الكاتب قد أثبت ما ذكره الصغاني في «التكملة والذيل والصلة» وفيه «والذي يَقرأ الصحيفة ويُخطئ في القراءة ويُصحِّف : صَحَفي» (بالتحريك) .

أقول : هو «صُحُفي» والنسبة إلى الجمع، وهي المقصودة أي إن هذا لم يأخذ علمه عن شيوخه بل لجأ إلى القراطيس وهي الصُحُف فأخذ منها ، ومن شأن هذا أن يعرض له الخطأ بسبب التشابه في رسم الحرف، وبسبب التساهل في الإعجام أي نقط الحرف فقد يهمل الجيم من «جاسَ» فيكون «حاسَ» وبهذا كانت قراءة «وحاسوا خلال الديار».

وأقول أيضًا إن النسبة إلى «فعيلة» لا تكون «فَعَلي» بحذف الياء، وهذا الحذف لا يكون إلا في المشهور مما جاء على «فَعيلة» كأعلام المدن والقبائل مثل النسبة إلى مدينة الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - «مَدَنيّ» ومن هذا السور المَدَنيّة . والنسبة إلى حنيفة وربيعة من أسماء القبائل : حَنَفي ورَبَعي .

فإذا جئنا إلى «الصحيفة» فهي ليست علمًا مشهورًا ولذلك نقول : العناصر الطبيعية كما قال الجاحظ في كتاب الحيوان وغيره .

ولذلك فكان ينبغي أن تكون النسبة إلى الجمع «صُحُفي» ، وأما ما وَرَد في «المُصحَف» في «لسان العرب» وضُبط «الصَّحَفي» بفتحتين فهذا من صنعة من نشر الكتاب أي المحقق، وهو من أهل عصرنا الذي ساقه المسموع الآن فأثبت الفتحتين، والصواب غير هذا .

أقول : نبَّه على هذا التصحيح الإمام ابن قتيبة في كتابه «أدب الكاتب» .

وأما قول الزبيدي في «تاج العروس» : الصُحُفي بضمَّتَين، لحن ، فليس بشيء إذ لم يكن الزبيدي من أهل التحقيق، ولو أنه كان قد وقف على ما بسطه ابن قتيبة لعاد إلى الصواب .

أقول أيضًا : كان للتصحيف الأثر السيء فيما ورثناه من تراث قديم، فقد دَخَلت بسببه مواد كثيرة في العربية وصارت من ملاكها ألا ترى مثلاً أن افتَضَّ واقتَضَّ بمعنى، وانتَخَب وانتَجَبَ مثله ، وعَوْعاء وغَوْغاء من هذا .

وقد دخلت في القراءات أشياء عجيبة وأنت إذا رجعت لكتاب «مختصر البديع» لابن خالويه ولكتاب «المحتَسب» لابن جني، هالَكَ ما تجد من قراءات كانت بسبب من التصحيف فأنت تقرأ مثلاً «غِشاوة» ، وقُرِئت «عشاوة» . ومثل هذا كثير .

وأذكر أني قرأت في مخطوطة لابن قاضي شهبة في «طبقات النحويين» فوجدت الناسخ يكتب في نعت أحد النحاة أنه كان «كوفيًا بصريًا» ! !

قلتُ : كيف كان هذا ؟ ثم بدا لي أن المُترجَم كان «كفيفًا بصيرًا» ، وهذا من طرائف التصحيف .

وأتحوّل إلى «الزَّنجاني، حياته ومصنَّفاته» لصاحبه محمود يوسف فجال فأقول :

قول الكاتب : «حياته» كلمة مستعارة حديثة من الإنجليزية (Life) أو الفرنسية (Vie)، وفينا غنىً عن هذا الدخيل فالكلمة «سيرة» هي المصطلح القديم وهي أولى من الجديد حين يكون الكلام على الزنجاني من رجال القرن السابع اللغوي النحوي .

أن «السيرة» وردت في سورة الرسول الكريم،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي مصادرنا «المغازي والسِّيَر» للواقدي، و«سِيَر أعلام النبلاء» وغير هذا .

وأقول أيضًا : إن الكلام على الأعلام المتقدمة ينبغي أن يكون تقتضيه الأساليب الفصيحة فلا يحسن مثلاً أن نتكلم على الخليل بن أحمد ونأتي بأساليب صحف عصرنا، وأذكر من هذا أن أحدهم كتب في كتاب في التاريخ فقال: «دمقراطية الخلفاء الراشدين»، وهذا وغيره لا يجوز فلكلّ مقام مقال .

ومن هذا قول محمود يوسف فجال : «الزنجاني علم من أعلام العربية ، مبرّز في فنونها بالإضافة إلى ثقافته الشرعية» .

أقول : استعمال «الإضافة» بمعنى الزيادة استعمال حديث وليس خطأ، لأنها في فصيح العربية تعني «النسبة» فكان يقال مثلاً : إن هذا بالإضافة إلى غيره مما يُفضَّل أي بالنسبة . والإضافة هي النسبة في كتاب الثعالبيّ «ثمار القلوب في المضاف والمنسوب» ، والمنسوب هو المضاف نفسه وإنما جاء للحفاظ على السجع .

وقد رأيت في مصادر الكاتب «روضات الجنّات» للخوانساري، و«أعيان الشيعة» لمحسن الأمين .

أقول : وقد أدرج الخوانساري ومحسن الأمين «الزنجاني» بين رجال الشيعة والمعروف أنه شافعي . وقد صنع كما صنَعا أغابزرگ الطهراني في «الذريعة إلى تصانيف الشيعة» .

وحسبك أن هؤلاء ترجموا للزمخشري في كتبهم .

وأتحوّل إلى «شيخ الإسلام ابن قدامة المقدسي» لمحمود ماضي فأقول :

بدأ درسه فأثبت «حياته» ، وقد قلنا في هذا المقال الذي تقدم عن الزنجاني فلا حاجة أن نعود إليه وكان ينبغي أن يستفيد من أحد مصادره وهو «سير أعلام النبلاء» .

وأتحوّل إلى «انثربولوجية الصورة والشعر قبل الإسلام» لأحمد علي محمد فأقول :

هذا البحث نقد لكتاب بهذا العنوان لصاحبه قُصَي الحسين ، أشار الناقد أحمد علي محمد إلى أن هذا الكتاب غير بعيد عن كتاب نصرت عبدالرحمن «الصورة في الشعر الجاهلي» وأنه من باب «وقع الحافر على الحافر» .

أقول : هذا لايُهم ، ولكن المهم أن الكاتبين ذهب فيهما الكاتبان إلى النهج الأسطوري في تفسير بعض المواد في الشعر الجاهلي، وهذا منهج جماعة من المصريين من بينهم بل أشهرهم لطفي عبدالبديع . وأذكر أني تحدّثت مع نصرت عبدالرحمن وكان غيري قد تحدّث وأنكر جميعنا مثلاً أن تكون «هريرة» في قول الأعشى :

وَدِّعْ هريرة أنّ الركب مرتحل
وهل تطيق وداعاً أيها الرجل

رمزًا أسطوريّاً وليست أنثى يعرفها الناس ، ومثل هذا الكثير مما ذهب فيه إلى الرمز كالناقة والجمل وحمار الوحش ، والوقوف على الطلل .

وجاء الآخر قُصَي وذهب في هذا الطريق وسآتي على بعض ما كان منه .

أقول : لقد دُفع هؤلاء الدارسين إلى الجديد يتابعون فيه بعض ما رأوه لدى بعض الغربيين وليس كلهم ، ذلك أن اتّباع الغربيين يتأتّى من شعورنا نحن العرب والمسلمين أننا أمم مغلوبة ضعيفة بالقياس إلى الغرب القويّ بعديده وعُدَده الذي يتفضل علينا بما ينتجه ويبدعه . كأننا عالة على الغرب فمنه الخير كل الخير ، ونحن مع إقرارنا بما نستفيد منه نتلقى ضروب الشرّ من الغرب .

لقد كان من هذا أن جعل كمال أبو ديب مطوّلة امرئ القيس «قفا نبك» من الأدب الجنسي فأطلق عليها اسم «القصيدة الشبقية» في أحد كتبه المطبوعة، وجعل قول امرئ القيس :

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقبل مُدبر معـا
كجلمود صخر حطّه السيل من علِ

وصفاً «للعمل الجنسي» ! !

وأعود إلى الناقد فأكون معه في رفضه لتفسيرات قُصَي الحسين في ذهابه مذهب الغربيين وكأن قُصَيّاً هذا يقول : إذا كان هذا لدى الغربيين فلابد أن يكون مثله لدينا.

قال قُصَي فيما عرضه أحمد علي محمد : «غير أن إيماني بهذه النظرة التي تدرس الشعر الجاهلي على قاعدة ارتباطه الوثيق بالحياة الدينية الأسطورية جعلني أقبل المغامرة لإثبات الحقيقة التاريخية التي تقول بازدهار الحياة الروحية عند العرب وغيرهم من الأمم القديمة ، وبأن جميع الصور المادية التي ظهرت في أشعارهم هدفها شرح المعاني المجرّدة ، فالآلهة تحتاج إلى صورة حتى يسهل على العامة تصوّر معنى الألوهية» .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

أقول : هذا شيء أثبته الناقد أحمد علي محمد من كلام لقصيّ الحسين ، ولكن الناقد لم يُوجِّه ما ينبغي أن يكون من الرفض .

أن قُصَيّاً أقرّ أن ما قام به مغامرة تتيح له أن يذهب إلى هذا الحدّ فيقيم على ما دفعه إليه حماسه في التقليد للآخرين الذين قلدوا نفراً أيضاً مدفوعين بما خطف أبصارهم وبصائر من بريق غربيّ لم يكن أسلوب درس لدى الغربيين من أهل الجدّ ؟

ثم مَن قال لك أن الشعراء الجاهليين أرادوا التيسير على العامّة لإبلاغهم بالمعاني المجردة في الصور المادية ؟ ثم هل كان الشاعر غير الناس في تكوينه فكان في المجتمع البدوي القديم عامّة وخاصة ؟

وإذا كان لنا أن نقول : إن «الأحناف» طبقة خاصّة، فهل صنع هؤلاء هذا التصوير المزيَّف ؟ وأقول أنا لقُصيّ هذا وللآخرين :

إن الصور المادية من الناقة والجمل وحمار الوحش ، والطلل والوقوف عليه وعلى الدار موادّ حقيقية كانت لهم، فلم يكن امرؤ القيس مضلّلاً حين وصف جواده وما كان من شقائه وشقاء الجواد حين «اغتَدَى بالليل» والليل في ظلامه، فخاطبه قائلاً :

فقلتُ له لمّا تَمَطّي بصلبه
وأردفَ أعجازاً وناءَ بكَلْكلِ
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي
بصُبحٍ وما الإصباحُ منك بأمثلِ

لقد شقي الشاعر وكان جاداً ، وعانى ما عاناه جاداً فليس لنا أن نتّهمه كما فعل أبو ديب بالشبقية، وفي المطولة شقاء ومعاناة وعذاب ، وإذا كان من بيت يتيم لا يوجد غيره قد أشار فيه إلي الإثم فذاك كما يبدو لي قد دُسّ في هذه المطوّلة الأليمة وما أكثر العبث في النصوص القديمة ، فلم يسلم منه حديث رسول الله ..

والجمل والناقة قد أحلّهما الشاعر القديم موضعاً من نفسه فقد خاطب أحدهم الجمل خطاب مَن يعقل لأنه رفيقه الذي يبادله الإخاء فقال :

شَكَا إليَّ جَمَلي طولَ السُّرى
يا جَمَلي لَيْسَ إليَّ المُشْتَكى
صبراً جميلاً فكلانا مُبتَلَى

أقول : كان هذا دأبهم والدنيا هي هي ، ولم يتغيرَ الزمان ولا المكان فهذا هو المتنبي بعد قرون من الجاهلية يقول بعد أن آذَته الحُمَّى في قصيدته الحزينة واصفًا «الرواحل» المُتعبَة :

عُيونُ رواحلي إنْ حِرْت عيني
وكلُّ بُغام رازحةٍ بُغامي

والبُغام صوت من حنين الناقة الذي نسبه إلى نفسه.

ثم إن الوقوف على «الطلل» «أو في «الدار» نزعة إنسانية، فقد يَقف كلٌّ منّا في عصرنا على الدار التي شهدت أيام صباه، وقد يقف على غرفة الفصل القديم في مدرسته الأولى .

وإني لأذكر من هذا ما شهدته بعيني في باريس بُعَيد الحرب العالمية الثانية. لقد كنت أسكن مبنىً جعلته صاحبته غُرَفًا منفردة يستأجرها الطلاّب في الحي اللاتيني. وفي أحد الأيام دَخَل رجل إلى المبنى وهو مسرع كأنما يبحث في المبنى عن شيء افتقده فيه فكان يقف على غرفة معيّنة في كل دور ، وهو يذرف الدمع ويتمتم بكلمات فيها أسماء لرجال ونساء . وإذا صاحبة المبنى يعلو صوتها تعنّفه وتلومه لأنه دخل ولم يستأذن ، فصرخ الرجل وهو يبكي ، كيف لي بهذه الغيبة وهي تلومني ، لقد تركت في هذه الغرفة زوجتي والتحقتُ بالجبهة فلقيت ما لقيت ، وها أنذا أعود ولم أر زوجتي ، وفقدت في تلك الغرفة صديقي الذي قضى في الجبهة الروسية ، وفقدت وفقدت ...

أقول : هذه صورة من صور عالمنا الفسيح هي هي صورة الواقف على الدار أو الطلَلَ البالي ، فأين هؤلاء الذين يسمّون أنفسهم الدارسين الجدد ؟

وهل كذب ذو الرمّة وأراد أن يموّه حين قال :

وأبكيهِ حتى كاد ممّا أبثُّه
تُكلمّني أحجارُه وملاعبُهْ

وكان لامرئ القيس صورة قديمة لو أدركها هؤلاء الذين لم يستوفوا الدرس فزعموا ما زعموا ، قال فيها :

ظَلِلتُ رِدائي فوق رأسيَ قاعداً
أَعُدُّ الحَصَا ما تنقضي عَبَراتي

لقد جهل هؤلاء الدارسون عدَّ الحَصا للشاعر في حيرته وأحزانه ، ولو عرفوا هذا لكان لهم تأويل عجيب في الذهاب إلى الأسطورة ورمزها الذي هُرِعوا إليه في درسهم تقليداً ومحاكاة فلم يتبصّروا وغاب عنهم علم كثير.

ولم يقفوا على نظير وقفة امرئ القيس فيما لنا من شعر ذي الرُّمّة :

عَشيَّةُ ما لي حيلة غير أنَّني
بلَقْط الحصَا والخَطِّ في الدار مولَعُ
أُخُطُّ وأمحو الخطَّ ثم أعيدُه
بكَفَّيَ والغِرْبانُ حولي وُقَّعُ

لقد جهل هؤلاء الدارسون معاناة الشاعر فجعلوه شيطانًا يومئ إلى ما وضعوه هم لأنفسهم ولا أريد أن أتعقَّب ما قاله قُصَي فقد ذكر صاحبي الناقد منه ما يفيد من القول الذي بني على أساس فاسد فلا يقوم عليه بناء وليس لنا أن نرمَّ ما فعله هو وفَعَله أصحابه .

ولكنيِّ أقول : إذا كان لدى الإنجليز في لندن شجرة بلوط نذروها للإله زيوس فصارت مقدَّسة لدى العامَّة يمرّون بها مبتهلين فهل لعاقل منّا أن يصل هذه الشجرة بـ «شجرة الحديبية» التي كانت عندها «بيعة الرضوان» وقد أشارت إليها الآية الكريمة :

﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾ .

تلك الشجرة قد نالها من إقبال العامّة ما نالها فخشي عمر من تلك البدعة الضالة فقُطِعَت إبعادًا وتجنُّبًا من وثنيَّة استُحدِثت .

أقول : هل يَجوز لقُصَيٍ هذا أن يذهب إلى ما ذهَبَ إليه ؟ لو أن أحدًا من الغربيين قد سبق قُصَيًّا هذا فذهب إلى ما ذهب لكان لنا كلام في عبث هذا الكذّاب من المستشرقين الحاقدين .

وأعود إلى صاحبي الناقد أحمد علي محمد فأقول له: دع عنك هذا فقد أحسنت الردّ عليه ، ولم يكن لي إلا كلمات قلتها .

غير أني أعود إلى غرام أهل الدرس الجديد بالكلم الأجنبي ، وهو بعيد عن أي مفهوم للمصطلح كقول صاحبنا قُصَي هذا «انتربولوجية» الصورة ...

إن هذه الكلمة من «إنتربولوجي» وهو علم يتعلق بالإنسان وأصله ، وكيف تطوّر وما يتصل بهذا من قريب أو بعيد ، فما معنى أن ينسب قُصَي هذا العلم إلى الشعر القديم وصوره ؟ (٣) .

إنّه غرامه الذي ساقه إلى «تمثال فينوسات لوسيل» وبحثه عنه لدى الشنفري وسائر الشعراء الجاهليين ! !

ثم أتحوّل إلى «دليل مكتبة الأدب الإسلامي» لصاحبه عبدالباسط بدر ، وكاتب البحث عبدالحميد حسانين حسن فأقول :

لا أدري ، وأنا معنيٌ بالأعلام للرجال والنساء ، أكانَ «حسانين» هذا مثّنى أم جمعًا لأنه غير مضبوط شكلاً ، وهو غريب عليّ ؟ ثم أكانت السين مشدّدة أم غير ذلك ؟

إني أعرف أن المصريين أحبّوا آل البيت فكان من أعلامهم «حَسَنَين» مُثنّى «حَسَن» ، والعلم يشير إلى سِبْطي رسول الله – صلوات الله وسلامه عليه – وهما الحَسَن والحُسَين، والتغليب في التثنية للحَسَن وهو الأكبر . غير أني لم أقف على «حسانين» هذا .

أقول : والبحث مفيد لأنّه استقراء لمواد «دليل» يندرج في باب علم الفهرسة والمعلومات الذي قدَّم للباحثين حاجة ضرورية لهم .

وصاحبي عبدالحميد حسانين حسن يستعمل في عبارته «العمل الببليوجرافي» ، وأقول : لا ضير في هذا فقد شاعت هذه الكلمة بين الدارسين العرب، غير أنَّا لو فكرنا في كلمة «ببليوجرافيا» هذه وجدنا فيها الأصل الإغريقي «ببيل» ويعني الكتاب ومنه الكلمة "Bible" في اللغات الغربية عامة ، ثم «جْراف» graph ويعني الخط والتخطيط في أية مادة من المواد .

وصاحب البحث يرسم الكلمة بالجيم وهو يريد (G) فهو مصريٌ يخضع للغته المصرية (٤) . لقد كان لهذا الأمر خُطْب ومصيبة في رسم هذا الصوت اللاتيني (G) في العربية فقد قالوا حين ترجموا «البؤساء» للكاتب الفرنسي فكتور «هوكو» وقالوا أيضًا «هوجو» ، وقالوا : «هوغو» وقالوا : هيكو وهيجو وهيغو فضاع بهذا علم كثير.

وأتحوّل إلى «الدوريات العلمية» لطوني ستانكس، وكاتب البحث حشمت (٥) محمد علي قاسم ، وهو بحث مفيد، والأصل مفيد أيضًا . غير أني أقف على «الدوريات» التي أخذها العرب ترجمة لـ periodique الفرنسية ومثلها الإنجليزية ، وتفيد المجلة الفصلية أو ما يصدر في نهاية منتصف السنة أو آخرها . وليس من ضير في هذا، وإن كانت الحاجة إلى هذا ونحوه غير ضرورية .

ثم آتي إلى "شرح جمل الزجاجي" المنسوب إلى ابن هشام ومحقق الكتاب علي محسن مال الله ، وكاتب النقد عبدالله ابن حمد الدايل فأقول : كان الناقد على حق فالكتاب ليس لابن هشام للأسباب التي ذكرها . ثم إن محقق الكتاب قصّر في تحقيقه فقد خفيت عليه عبارات كثيرة فعدل بها عن وجهها . وقد أحَسن الناقد صنعًا فيما بسطه من غوار الكتاب .

ARCHIVE
http://Archive.ebeta.sakhrit.com

وأقول أيضًا : لقد رأيت أصول هذا الكتاب قبل ما يقرب من نصف قرن في باريس حين نشر محمد بن شنب الجزائري كتاب الجمل للزجاجي وأخرجته دار ميزونيف سنة ١٩٤٧، وكان لي تعليقات على صنعة المحقق ، ثم رجعت إلى الشرح الذي نُسب خطأً إلى ابن هشام فأدركت أنه ليس لابن هشام لأنّ ابن هشام قد عرض لعيوب الجمل للزجاجي في مصنفاته النحوية، ولم يكن شيء من ذلك في هذا «الشرح» .

ثم آتي إلى البحث الذي كتبه عبدالله بن ناصر الحديب الذي عرض لكتاب «قيام الدولة السعودية» لصاحبه عبدالكريم الغرايبة فأقول :

استقرى الأخ عبدالله بن ناصر مواد الكتاب فأثنى على صاحبه وبين الخطأ الذي وقع فيه في تفسيره للأحداث والنتائج التي خلص إليها المؤلف .

وأقول أيضًا : أن الموضوعات الخاصة لا يمكن لمؤلف بعيد عنها أن يبسط فيها العلمَ كله فقد تخفَى عليه مسائل يدركها صاحبها ابن البلد مثلاً .

ثم آتي إلى «التخطيط لمكتبات المدارس الابتدائية في البحرين» وهي رسالة ماجستير لكاظمية منصور ناصر، فأقول:

لولا أن «رسالة الماجستير» في البحرين لحسبت صاحبة الرسالة «كاظمية» من أهل العراق ، ولكني عدتُ عن ظني هذا حين علمت أن «كاظمية» «بحرانية» من أهل البحرين ، والاسم من أسماء الإناث لدى الشيعة في العراق والبحرين وغيرهما .

والاسم قد يثير إلى أن الأمّ توجّهت بالدعاء إلى الله ثم إلى الإمام موسى الكاظم بن جعفر الصادق من الأئمة الاثني عشر – رضي الله عنهم – إن رُزِقَت ولداً ذكراً جعلته عبدالكاظم، وإن كان لها أنثى نَسَبَتها إلى الإمام الكاظم «كاظمية» .

أقول هذا للفائدة اللغوية التاريخية .

وأعود إلى الرسالة فأذكر أن المدرسة الابتدائية التي رأيتها قبل عدة عقود من السنين قد خلت من المكتبة ولا أي كتاب آخر ، وكنا نحن الصِّبية لا نجد من الكتب إلاّ الأجزاء القليلة من المصحف الشريف مثل : جزء عَمّ وجزء تبارَك ...

خاتمة

كأني قد أتيت على آخر هذا العدد المفيد من «عالم الكتب» .

الهوامش

١ – وإني أعرف غير واحد في الجامعات البريطانية ممن يشغلون رتبة رئيس قسم علمي ليس له من الشهادات العلمية إلا شهادة البكالوريوس ، مع العلم أن جمهرة ممن يحملون الدكتوراه phd مدرسين في القسم، يفيدون من علمه وخبرته.

٢ – لقد كان لي مشاركة في هذا المصطلح في مؤسسة المواصفات والتقييس التي احتجنا فيها إلى المعلومات وتكنيزها .

٣ – وهذا مثل الكتاب الآخر وهو «سوسيولوجيا الغزل العربي» للمستشرقة ليختن ساتادلر التي أنا بيقين لا تجيد قراءة بيت قديم . وعجيب من وزارة الثقافة السورية التي نشرت الكتاب أن وافقت على ما قدمه حافظ الجمالي المترجم ، وكأنها لم تدرك أن «سوسيولوجيا» تعني علم الاجتماع وهذا الكتاب من مصادر قصي الحسين .

٤ – لقد أحسن الفُرس ، وحروفهم عربية، رسم هذا الصوت الذي يقبل حرف (G) اللاتيني ، وهو من حروف الفرس فرسموه كافًا مع عَصَوَيْن ( ) فتخلّصوا مما وقع فيه العرب .

٥ – أقول من فضائل «عالم الكتب» التي فاقت بها المجلات الخاصة بالكتب التي صدرت في هذا القرن ، فكانت تضارع المجلات الغربية في هذا الباب عنايتها بما نشر وما ينشر وكنت أود لو أنها عرضت لمعجم الأسماء الذي أصدرته وزارة الثقافة في دولة عُمان . أقول هذا وأنا أرى العلم «حشمت» الذي استعاره العرب من الأعلام العثمانية ، فالعثمانيون الأتراك أخذوا كثيراً من أعلامهم من العربية ومن هذه عزّت وطلعت وحشمت وشوكت وبهجت وحمّلوها التاء التي تنطق على الدوام إبعاداً لها عن أصولها العربية التي هي مصادر . ثم جاء العرب فأخذوها وسمّوا بها ، وحلا لبعض المجتهدين أن يردّ هذه الأعلام إلى أصلها العربي فصاروا يرسمونها تاءً معقودة مثل شوكة وحكمة وغيرهما . وليس هؤلاء على حق لأن التاء المعقودة هاء في الوقف . لقد ذكرت هذا في كتابي «الأعلام العربية» ، طبع في بيروت .

الدراسات

وقفة نحوية مع (من) الزائدة عند النحاة وفي القرآن الكريم

منيرة محمود الحمد
أستاذة النحو والصرف المساعدة
قسم اللغة العربية وآدابها
كلية الآداب للبنات بالرياض

مقــدمة

من المعروف أن الخلافات النحوية بين مختلف المدارس، وبخاصة المدرستين البصرية والكوفية، أدت في الغالب إلى تشعيب القاعدة النحوية وتجزئتها، فقلما يجد الدارس لعلم النحو موضوعًا؛ بل جزءًا من موضوع لم يوجد فيه خلاف. أدى في كثير من الأحيان إلى التعقيد والتكلف في تأويل النص وتحميله ما لا يتحمل من العلل. وكان الهدف من ذلك عرض الأدلة والحجج والبراهين ليقتنع الدارس برأي كل فريق. لا يهمه إن كانت أدلتــه أو حجته تخـالف الوارد فـي الكلام العربي الفصيح وبخاصـة القرآن الكـريم.

وقد لفت نظري أثناء تدريسي لعلم النحو كثيرمن تلك الموضوعات التي تشعبت قواعدها، وكثرت جزئياتها. وكثر حديث النحاة وجدلهم حولها. وقد اخترت نموذجًا من الموضوعات التي وقع الخلاف فيها بين النحاة مع عرض الموضوع على القرآن الكريم لمعرفة الرأي الأرجح فيه. وهذا النموذج هو: من الزائدة عند النحاة. وفي القرآن الكريم. وسيسبق الحديث عن هذا عرض موجز لمعاني (من) المختلفة في اللغة والنحو. ثم عرض لاستعمال (من) زائدة عند النحاة، مع بيان الغرض من زيادتها في الكلام، ومع بيان شروط زيادتها عند البصريين والكوفيين وترجيح ما رأيته مناسبًا وموافقًا لاستعمالها فــي القران الكـريم.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

معاني (من) المختلفة في اللغة العربية (١) :

يتـفق النحـاة على أن (من) حـرف من حـروف الجـر، وترد في اللغة العـربية لمعانٍ مـختلفة منها: ابتداء الغاية المكانيـة باتفـاق. (٢) والتـبعـيض، وبيـان الجنس، والتـعليل، والبدل. وبمعنى (عن) وبمعنى (في) وبمعنى (الباء) وبمعنى (رب) وبمعنى (على)، وللفصل وللانتهاء، وللغاية (٣)، ومثل له المرادي (ت ٧٤٩هـ) بقوله: (أخذت من الصندوق) فـمعنى (من) هنا هو الغاية أي: ابتداء الغاية وانتهاؤها معًا.

وذهب المبـرد (ت ٣٨٥هـ) وابن السـراج (ت ٣١٦هـ) إلى أنهـا لا تكون إلا لابتـداء الغـاية المكانيـة. وأن سـائر المعـاني التي ذكـرت ترجع إلى هذا المعنى (٤). وممن قـال بهـذا الرأي الزمـخـشـري (ت ٥٣٨هـ)، فـيـرى أن المعنى الأصلي لها هو ابتداء الغاية المكانية. وإفادتها التبعيض أو بيان الجنس أو التوكيد راجع إلى هذا المعنى يقول:

«فمن معناها ابتداء الغاية، كقولك: سرت من البصرة وكونها مبعضة في نحو: أخذت من الدراهم، أو مبينة في نحو: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ﴾ (٥). ومزيدة في نحو: ما جاءني من أحدٍ. راجع إلى هذا» (٦).

وشرح ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ) رأي الزمخشري بقوله: «وذلك لأن ابتداء الغاية لا يفارقها في جميع ضروبها. فإذا قلت: أخذت من الدراهم درهمًا فإنك ابتدأت بالدرهم ولم تنتـه إلى آخـر الدراهم. فـالدرهم ابـتداء الأخـذ إلى أن لا يبقى منه شيء. ففي كل تبعيض معنى الابتداء. فـالبعض الذي انتهاؤه الكل. وأما التي للتبيين فهي تخصيص الجملة التي قبلها. فكان فيها ابتداء غاية تخصيص وأما زيادتها لاسـتـغـراق الجنس في قـولك: مـا جـاءني من رجلٍ. فـإنما

جعلت الرجل ابتداء غاية نفي المجئ إلى آخر الرجال. ومن هنا دخلها معنى استغراق الجنس» (٧).

وصحح ابن مالك (ت ٦٧٢هـ) هذا الرأي فيرى أن معنى (من) هو ابتداء الغاية مطلقًا، يقول: «وهي لابتداء الغاية مطلقًا على الأصح» (٨).

في حين ذهب سيبويه (ت ١٨٠هـ) إلى أن (من) ترد في اللغة لمعانٍ متعددة، ولا يقتصر معناها على ابتداء الغاية ومن ذلك: التبعيض والزيادة (٩). وذكر المرادي أن معنى التبعيض كثير فيها. وكذلك بيان الجنس، وهو مشهور في كتب المعربين وقال به جماعة من المتقدمين والمتأخرين (١٠).

أما المعاني الأخرى كالتعليل، والبدل، والمجاوزة، والانتهاء، ومرادفة لمعنى (في) و (عن) و (الباء) ... وغيرها. فلعل منع مجيئها لهذه المعاني عند البصريين راجع إلى أنهم لا يجيزون تناوب حروف الجر. فلكل حرف جر عندهم معنى يؤديه. يقول المرادي (ت ٧٤٩هـ) موضحًا رأيهم: «مذهب سيبويه والمحققين من أهل البصرة أن (في) لا تكون إلا للظرفية حقيقة أو مجازًا. وما أوهم خلاف ذلك ردّ بالتأويل إليه» (١١). بخلاف الكوفيين الذي يجيزون تناوب حروف الجر (١٢).

وأما مجيء (من) لابتداء الغاية الزمانية، فمحل خلاف بين البصريين والكوفيين ففي حين منعه البصريون أثبته الكوفيون مستشهدين بقوله تعالى: ﴿لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه﴾ (١٣) وبقوله ﷺ: «فمطرنا من الجمعة إلى الجمعة» (١٤). وبقول النابغة الذبياني:

تُخُيِّرْنَ مِنْ أَزْمَانِ يَوْمِ حَلِيمَةٍ
إلى اليَوْمِ قَدْ جُرِّبْنَ كُلَّ التَّجَارِبِ (١٥)

ويقول زهير بن أبي سلمى:

لِمَنِ الدِّيَارُ بِقُنَّةِ الحِجْرِ
أَقْوَيْنَ مِنْ حِجَجٍ وَمِنْ دَهْرِ (١٦)

إلى غير ذلك من الشواهد التي رأوا أن (من) فيها تدل على ابتداء الغاية الزمانية. وقد رجح ابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ) رأي الكوفيين لكثرة استعماله نثرًا وشعرًا (١٧) وارتضاه ابن مالك قليلاً. وكذلك ابن عقيل (ت ٧٦٩هـ) (١٨).

وأبو حيان الأندلسي (ت ٧٥٤هـ) (١٩) وابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) (٢٠).

وقد تأول البصريون هذه الشواهد على حذف مضاف تقديره في الآية الأولى مثلاً: من تأسيس أول يوم (٢١)... وهو تأويل لا داعي له. لأن (من) جاءت دالة على ابتداء الغاية الزمانية وبخاصة في القرآن الكريم الأمر الذي لا يدع مجالاً للشك فيه أو إنكاره. من ذلك دخولها على ظرفي الزمان (قبل وبعد) في قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ (٢٢).

(من) الزائدة عند النحاة:

يتفق البصريون والكوفيون على مجيء (من) زائدة في الكلام العربي. وأثبتوا لها هذا المعنى مستدلين بوروده في كلام العرب شعره ونثره.

الغرض من زيادة (من) عند النحاة

يجمع النحاة على أن الغرض من زيادة (من) هو توكيد الكلام وتقويته، وهي عند سيبويه لتوكيد العموم على سبيل الاستغراق. ولتوكيد النفي أيضًا. ومثل لها بقوله: (ما أتاني من أحد). وقاسها في أداء معنى التوكيد على (الباء) الجارة التي تزداد توكيدًا، يقول: «لأن معنى: ما أتاني أحد وما أتاني من أحدٍ، واحد، ولكن (من) دخلت هنا توكيدًا، كما تدخل الباء في قولك: كفى بالشيب والإسلام (٢٣). وفي: ما أنت بفاعل ولست بفاعل» (٢٤). كذلك قاسها على (ما) التي تزاد توكيدًا، يقول: «وقد تدخل في موضع لو لم تدخل فيه كان الكلام مستقيمًا. ولكنه توكيد بمنزلة (ما)» (٢٥).

وإلى هذا المعنى ذهب كثير من النحاة منهم: المبرد وابن السراج وابن يعيش والرضي وابن أبي الربيع السبتي (ت ٦٨٨هـ) وابن هشام الأنصاري والسيوطي (ت ٩١١هـ). فيرون أن الغرض من زيادة (من) هو توكيد الكلام توكيدًا يفيد الاستغراق، أي يشمل جميع أفراد الجنس (٢٦).

وفصل بعض النحاة القول في مواضع زيادة (من) فيرون أن لها حالتين تزاد فيهما:

الأولى: أن تكون زائدة للتوكيد، وذلك قبل كل نكرة

تفيد العموم وفيهامعنى النفي نحو : ما قام من أحدٍ. وما جاءني من ديّارٍ . لأنه لو حذفت (من) لبقي العموم على حاله. ذلك أن (أحدًا) لا تستعمل إلا للعموم في النفي.

والثانية: أن تكون زائدة تفيد التنصيص على العموم. وتسمى الزائدة لاستغراق الجنس. وذلك قبل نكرة لاتختص بالعموم. ولا تفيد معنى النفي، نحو: ما في الدار من رجلٍ. لأنه لو قيل، مافي الدار رجل، لاحتمل نفي الجنس، ولجاز أن يكون المعنى: ما في الدار رجل واحد ولا أكثر من ذلك. ولاحتمل نفي الواحد، ولجاز أن يكون المعنى: ما في الدار رجل واحد بل أكثر من واحد. فلما زيدت (من) في الجملة صار النفي نصاً في العموم، ولم يبق فيه احتمال لنفي الواحد. فمن هنا دلت (من) على نفي العموم نفيًا يستغرق الجنس كله قليله وكثيره، والواحد وما فوقه (٢٧).

وتفصيل النحاة هذا بخلاف ما نص عليه سيبويه من تساوي الحالتين، حيث مثل لـ (من) الزائدة بقوله: ما أتاني من رجل، وما رأيت من أحد. فجاء مجرورها في المثال الأول نكرة لا تفيد العموم، وفي المثال الثاني نكرة تفيد العموم (٢٨). وهو الصحيح إذ لا داعي للتفريق في مواضع زيادة (من) لأن زيادتها توكيد النفي على سبيل الاستغراق، بحيث يشمل قليل الجنس وكثيره، وليس أدلّ على ذلك أن النحاة جعلوا جواب قولك: هل من رجلٍ في الدار؟ لا رجل في الدار. فيجاب بـ (لا) النافية للجنس للدلالة على نفي استغراق الجنس، وهذا واضح في كلام المبرد، حيث يقول: «إذا قلت: (لا رجل في الدار) لم تقصد إلى رجل بعينه وإنما نفيت عن الدار صغير هذا الجنس وكبيره، فهذا جواب قولك: هل من رجل في الدار؟ لأنه يسأل عن قليل هذا الجنس وكثيره» (٢٩). فلو أن وجود (من) في الكلام يدل على الجنس والمفرد، لجاز أن يكون جواب: هل من رجل في الدار؟ لا رجل في الدار، باستعمال (لا) النافية للوحدة المشبهة بـ (ليس). وهذا لم يقل به أحد من النحاة. لأن النحاة فرقوا بين معنى (لا) النافية للجنس، و (لا) النافية المشبهة بـ (ليس) بأن الأولى لنفي الجنس على سبيل الاستغراق، وبأن الثانية لنفي الواحد أو الوحدة – كما ذكروا– ولذا يجوز أن يقال بعدها: لا رجل في الدار بل رجلان....

ودليل آخر على أن (من) تفيد نفي الجنس على سبيل الاستغراق هو استعمالها في القرآن الكريم، فقد جاء بعدها نكرة دالة على العموم ومنفية نحو قوله تعالى: ﴿وَمَايُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حتى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ (٣٠)، وقوله تعالى ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحدٍ﴾ (٣١). كما جاء بعدها نكرة غير منفية وغير دالة على العموم نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (٣٣) ودل السياق معه على نفي الجنس على سبيل الاستغراق، وتوكيد هذا النفي، بل إن مجيء النكرة غير منفية أكثر من مجيئها نكرة منفية في القرآن الكريم (٣٤).

شروط زيادة (من) عند البصريين والكوفيين :

يذكر ابن يعيش أن سيبويه اشترط لزيادة (من) ثلاثة شروط (٣٥) :

الأول : أن تكون مع النكرة أو بمعنى آخر، أن يكون المجرور بهانكرة.

الثاني : أن تكون النكرة عامة.

والثالث : أن تكون في غير الموجب، بمعنى أن تسبق بنفي أو شبهه، وهو النهي أو الاستفهام.

وذكر المرادي أيضًا أن (من) لا تزاد عند سيبويه وجمهور البصريين إلا بشرطين (٣٦):

الأول : أن يكون ما قبلها غير موجب

والثاني : أن يكون مجرورها نكرة.

ونقل ذلك الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، ومثّل لها بنحو: ما كان من رجلٍ، ولا تضرب من رجلٍ .. وهل جاءك من رجلٍ ؟ (٣٧).

وليس في الكتاب ذكر للشروط التي ذكرها النحاة، ولعلهم استنتجوها مما مثل به سيبويه لزيادتها بقوله: ما أتاني من رجلٍ . وما رأيت من أحدٍ.

وقد ارتضى جمهور البصريين هذه الشروط لزيادة (من). وزاد ابن هشام الأنصاري(٣٨)شرطًا رابعًا وهو أن يكون أصل مجرورها إما فاعلاً نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلا يَعْلَمُهَا﴾ (٣٩) وإما مفعولاً به نحو قوله تعالى: ﴿مَاتَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾ (٤٠) وإما مبتدأ

نحو قوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيرُ اللَّهِ﴾(٤١).

وجوّز أبو البقاء العكبري (ت ٦١٦هـ) أن يكون أصل مجرورها مفعولاً مطلقًا، وخرّج عليه قوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾(٤٢) فـ (من) زائدة، و (شيء) في موضع المصدر وتقديره (تفريطًا). وجوّز ابن مالك أن يكون مجرورها حالاً (٤٣). وتبعه المرادي، ومنه قراءة زيد بن ثابت وأبي الدرداء وأبي جعفر ﴿وماكان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء﴾(٤٤) بضم النون وفتح التاء والخاء ... على أن (من) زائدة و (أولياء) في محل نصب حال. وحسن ذلك انسحاب النفي عليه من جهة المعنى (٤٥). وخرّج غيرهما من النحاة (من) هنا للتبعيض.

وقصر ابن الحاجب زيادة (من) على شرط واحد، وهو أن تكون في كلام غير موجب، وتبعه في ذلك الجامي (ت ٨٩٨ هـ) (٤٦).

وقد اضطرب رأي أبي علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) فمرة جوّز زيادتها مطلقًا تبعًا للكوفيين والأخفش، ومرة اشترط لزيادتها تنكير مجرورها مسبوقًا بشرط (٤٧) مستشهداً بقول زهير بن أبي سلمى:

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امرئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ
إِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمِ (٤٨)

وهو بهذا يجوّز زيادة (من) في الشرط، وتابعه نحاة آخرون، فجوّزوا زيادة (من) في الشرط. نحو: إن قام من رجلٍ فأكرمه...

وحمل الشرط على الاستفهام مقيس عند النحاة، لأنه يقتضي جوابًا مثله. من ذلك تجويزهم نصب المضارع في جوابه نحو قول الشاعر:

وَمَنْ يَقْتَرِبْ مِنَّا وَيَخْضَعَ نُؤْوِهِ
وَلاَ يَخْشَى ظُلْمًا مَا أَقَامَ وَلا هَضْمَا (٤٩)

و (من) في بيت زهير لبيان الجنس عند بعض النحاة، لوقوعها بعد (مهما) الشرطية المبهمة. ويرى ابن هشام الأنصاري أنّ (من) التي لبيان الجنس تقع كثيرًا بعد (ما) و (مهما) الشرطيتين. وهما بها أولى لفرط إبهامهما (٥٠).

هذه هي الشروط التي اشترطها البصريون لزيادة (من) في الكلام.

أما الكوفيون، فكانوا إزاء هذا فريقين. فريقًا جوّز زيادة (من) مطلقًا أي في النفي وفي الإيجاب. وقبل النكرة أو قبل المعرفة (٥١). وتبعهم في ذلك أبو الحسن الأخفش (ت ٢١٥هـ). واختار رأيهم ابن مالك في التسهيل، يقول: «ولا يمتنع تعريفه - أي مجرور "من" - ولا خلوّه من نفي أو شبهه وفاقًا للأخفش» (٥٢). بينما اختار في غيره ما اشترطه البصريون، يقول في الألفية (٥٣):

وَزِيدَ في نفْيٍ وشبهه فَجَرّ
نَكِرةً ، كـ : (مَالِبَاغٍ مِنْ مفرّ)

وفريقًا اشترط أن يكون مجرورها نكرة دون أن تسبق بنفي أو بشبهه محتجين بما سمع عن العرب من قولهم: قد كان من مطرٍ . وبقوله تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾ (٥٤).

ومن شواهد الكوفيين والأخفش على زيادة (من) مطلقًا، قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ (٥٥). فجعلوا من زائدة مطلقًا دون شرط، لأن المراد غفران جميع الذنوب، بدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٥٦). ومنها أيضًا قوله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٥٧) فجعلوا (من) زائدة مطلقًا، لأن المراد تكفير السيئات جميعها بدليل قوله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً﴾ (٥٨). ومنها أيضًا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٥٩) ومنها قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ (٦٠) وبغيرها من الآيات القرآنية والشواهد الشعرية التي قالوا فيها بزيادة (من) مطلقًا.

وقد أوّل البصريون هذه الشواهد تأويلات مختلفة تبعدها عن الزيادة، على ما هو مذكور في مظانه.

ARCHIVE http://archivebeta.Sakhrit.com

وأرى أن ما اشترطه البصريون هو الصحيح، وهو يتفق مع الغرض من زيادة (من) في الكلام وهو توكيد النفي على سبيل استغراق الجنس كله. فلو تتبعنا الآيات التي وردت فيها (من) زائدة في القرآن الكريم لوجدنا أنها تفيد هذا المعنى، ضمن ما اشترطه البصريون.

فقد جاءت (من) مسبوقة بنفي في آيات كثيرة، منها قوله تعالى:

- ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ (٦١)
- ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ (٦٢)
- ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾ (٦٣)
- ﴿وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾ (٦٤)

وجاءت مسبوقة باستفهام في آيات كثيرة أيضًا، منها قوله تعالى:

- ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ (٦٥)
- ﴿هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ (٦٦)
- ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾ (٦٧)

ومما يلفت النظر، ويؤيد زيادة (من) للتوكيد، أنها اقترنت بما يفيد التوكيد معها في سياق الآية. من ذلك: لام الجحود في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ (٦٨).

ومنه: (إلا) التي للحصر والتوكيد، في قوله تعالى: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ (٦٩)، وفي قوله تعالى أيضًا: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (٧٠).

ومنه: (إن) الناسخة المؤكدة وفي خبرها لام التوكيد، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ (٧١).

ومنه: (الباء) الجارة الزائدة للتوكيد، في قوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (٧٢). وقد عقب بـ (إن) المؤكدة وفي خبرها لام التوكيد زيادة في توكيد النفي. ومن هذا الموضع أيضًا قوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ﴾ (٧٣)...

هذا هو سياق الآيات التي جاءت فيها (من) زائدة مؤكدة.

أما ما استشهد به الكوفيون والأخفش من شواهد على زيادة (من) فهو خارج عن هذا المعنى، فلو تتبعنا تلك الشواهد لظهر لنا جليًا واضحًا. وسأعرض بعض ما استشهد به الكوفيون ومن تبعهم من البصريين على زيادة (من) لنرى المعنى الحقيقي لـ (من) وذلك حسب ما يدل نص الآيات موضع الاستشهاد.

١- قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ (٧٤). فـ (من) زائدة في قوله تعالى: ﴿مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾. مطلقًا. وحجتهم في ذلك قوله تعالى في آية أخرى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ (٧٥). فوجب أن تكون (من) زائدة. وما بعدها في موضع المفعول به للفعل (يغفر) لأن الفعل (يغفر) تعدى إلى المفعول به مباشرة في الآية الأولى....

ونظرة إلى استعمال الفعل (غفر) وما تصرف منه في القرآن الكريم، نجد أن الكوفيين قد جانبوا الصواب. لأن الفعل (غفر) ورد في استعمالات مختلفة، فمرة ذكر مفعوله كالآية السابقة ومرة حذف، نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ﴾ (٧٦). وحذف المفعول به مع هذا الفعل أكثر من ذكره (٧٧).

فإذا علمنا هذا، جاز لنا أن نقدر مع الفعل (يغفر) مفعولاً به محذوفًا في الآية موضع الشاهد. فيكون الفعل قد جاء على الغالب فيه. وهذا هو حال الفعل المتعدي بصورة عامة، يقول السهيلي (ت ٥٨١ هـ): «كل فعل يقتضي مفعولاً ويطلبه، فلا يصل إلى ما بعده إلا بحرف جر، ثم قد يحذف المفعول لعلم السامع به ويبقى المجرور» (٧٨). أما معنى (من) فيكون للتبعيض، وخرّجه الطبري (ت ٣١٠ هـ) على أن المغفور من الذنب هو ما بينهم وبين الله بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم (٧٩). وخرّجه النيسابوري على أنه لا يلزم من غفران جميع الذنوب لأمة محمد ﷺ غفران جميع الذنوب لغيرهم. يدل على ذلك استقراء الآيات؛ فإنها ما جاءت في خطاب

الكافرين أو في خطاب من هم من غير جنس المؤمنين. وهم الجن في آية الأحقاف – إلا مقرونة بـ (من) (٨٠) وأما في خطاب المؤمنين فجاءت الآيات بغير (من) (٨١).

أما قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ (٨٢) فكان لها سبب نزول خاص بها، وأرجح الأقوال أنها نزلت في بعض المسلمين الذين كانوا أسلموا ثم فُتنوا وعُذبوا فافتتنوا فظن الناس أن الله لن يقبل منهم صرفًا ولا عدلاً أبدًا. فنزلت هذه الآية وما بعدها تطمينًا لهؤلاء النفر بأن لا ييأسوا ولا يقنطوا من رحمة الله، فإن الله يغفر الذنوب جميعًا، بشرط التوبة والرجوع إليه بالطاعة والاستجابة إلى ما دعاهم إليه من توحيده وإفراده بالألوهية وإخلاص العبادة له (٨٣).

إذاً سياق الآية التي هي موضع الشاهد وما شابهها يختلف عن سائر الآيات التي وردت دون (من) فكان الأجدر بالكوفيين ومن تبعهم التنبه إلى هذه الأمور المهمة في أسلوب القرآن الكريم دون تعميم للأحكام. فلكل آية في القرآن الكريم سياقها الخاص الذي استعمل له أسلوب خاص.

٢– قوله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ (٨٤). فـ (من) زائدة عند الكوفيين ومن تبعهم مطلقًا، وحجتهم في ذلك قوله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ (٨٥). حيث تعدى الفعل (يكفر) إلى المفعول مباشرة، فاقتضى المعنى في الآية الأولى أن تكون (من) زائدة وما بعدها في موضع المفعول للفعل (يكفر) وعلى هذا تكون (من) زائدة مطلقًا. وحجة الكوفيين هذه غير مقنعة، إذ تعدي الفعل إلى المفعول به مباشرة في الآية الثانية لا يوجب زيادة (من) في الآية الأولى لاختلاف سياق الآيتين. فالآية الأولى جاء التكفير فيها خاصاً – على الصحيح من أقوال المفسرين – (٨٦) بصدقة التطوع فأخبر الله عن نفسه أنه يجازي مخفي الصدقة ابتغاء وجه الله بتكفير بعض سيئاته. وقد بين الإمام الطبري هذا بقوله في شرح الآية: «فإن قال قائل: وما وجه دخول (من) في قوله ﴿ويكفر عنكم من سيئاتكم﴾ قيل: وجه دخولها في ذلك بمعنى ونكفر عنكم من سيئاتكم ما نشاء تكفيره منها دون جميعها» (٨٧).

وعلل ذلك بقوله: «ليكون العباد على وجل من الله فلايتكلوا على وعده ما وعد من الصدقات التي يخفيها المتصدق فيجترئوا على حدوده ومعاصيه» (٨٨).

أما الآية الثانية وسائر الآيات التي ورد فيها الفعل (كفر) بصيغه المختلفة (٨٩)، فكانت في معرض بيان جزاء الذين آمنوا بالله، واتقوه، واجتنبوا الكبائر التي حرمها عليهم، وعملوا الصالحات وقاتلوا في سبيل الله، وقتلوا، فكان جزاؤهم التجاوز عن سيئاتهم في الدنيا والنعيم المقيم في الآخرة.

ولايخفي الفرق بين جزاء صدقة التطوع، والإيمان بالله واجتناب الكبائر. فكان لابد أن يكون لكل فعل، ولكل عمل، الجزاء الذي يناسبه. فقد وعد الله عز وجل على عمل ليس فيه التوبة، ولا اجتناب الكبائر تكفير بعض السيئات وعلى عمل فيه توبة، واجتناب الكبائر تمحيص جميع السيئات. فناسب معنى (من) في الآية موضع الشاهد، أن يكون للتبعيض، ليدوام المسلم على هذا العمل – ماعاش – دون انقطاع.

٣– قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٩٠). فـ (من) زائدة عند الكوفيين والأخفش مطلقًا. والمعنى: يغضوا أبصارهم. ويرى البصريون أن (من) هنا للتبعيض. وهذا ما ارتضاه كثير من المفسرين. وعللوا ذلك بأن الإنسان لا يملك النظرة الأولى، وإنما يغض فيما بعد، فمن المحال أن يستطيع المرء أن يغض بصره كله لأول وهلة وإلا لزمه أن يسير مغمض العينين... فالنظر يكون عن تعمد وعن غير تعمد، والنهي إنما يقع على نظر العمد فقط. لذا عطف عليه قوله تعالى: ﴿ويحفظوا فروجهم﴾ من غير إعادة (من). لأن حفظ الفروج واجب مطلقًا، لايمكن التحرز منه. ولايمكن ذلك في النظر لجواز وقوعه اتفاقًا (٩١).

٤– قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٩٢) فـ (من) زائدة عند الأخفش،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والمعنى: جاءك نبأ المرسلين.... وخرّجها البصريون على أن (من) للتبعيض، وفاعل (جاء) محذوف تقديره (نبأ). ويرى الرضي أن فاعل (جاء) مستتر عائد على القرآن. و (من نبأ المرسلين) في موضع الحال (٩٣).

ولو تتبع الأخفش الآيات التي جاءت متضمنة لهذا المعنى، وهو خبر من كان قبل الرسول ﷺ من الرسل وخبر أممهم، وما فعل الله بهم حين جحدوا آياته، وتمادوا في غيهم وضلالهم، لو تتبع ذلك، لوجد أنّ معنى (من) فيها يفيد التبعيض، من ذلك قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذ يَخْتَصِمُونَ﴾ (٩٤). ولعل السبب في ذلك أن القرآن لم يكن ليهدف إلى ذكر أنباء السابقين من رسل وغيرهم، مفصلة، بقدر ما كان يهدف إلى استخلاص العبرة منها في مواقف معينة كتسلية الرسول ﷺ، وتثبيته كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٩٥).

ومن النثر - في غير القرآن - استشهد الكوفيون ومن تبعهم على زيادة (من) في الإيجاب مع تنكير مجرورها بقول العرب: «قد كان من مطر» فمن زائدة وما بعدها في موضع الفاعل. وقد أوله البصريون على سبيل الحكاية، كأنه سئل: هل كان من مطر؟ فأجيب: قد كان من مطر. فزيدت (من) في الموجب لأجل الحكاية. وأولوه كذلك على حذف الفاعل الموصوف وإقامة الصفة مقامه... واعترض على هذا التأويل بأن حذف الصفة وإقامة الموصوف مقامها أكثر ما يكون إذا كانت الصفة مفردة. أما إذا كانت جملة أو شبه جملة فلا يجوز إلا في الشعر (٩٦).

ويرى الجامي أن معنى (من) هنا للتبعيض، أي: قد كان بعض مطر، أو التبيين، أي: قد كان شيء من مطر.

وما استشهد به الكوفيون من قول العرب - وإن سلمنا بصحته - لا يجوز أن يكون دليلاً على زيادة (من) في الإيجاب... لأنه لا يضاهي الشواهد الكثيرة التي جاءت (من) فيها زائدة مسبوقة بنفي أو بشبهه... ورأي الكوفيين هذا يعبر عن منهجهم في القياس على القليل أو النادر وتعميم الحكم (٩٧). فكان الأجدر بالبصريين عدّ هذا القول من القليل الذي لا يقاس عليه، ولا يتخذ حجة لتعميم القاعدة النحوية، وذلك أولى من اللجوء إلى تأويله تأويلات متكلفة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التعليقات والحواشي

١- انظر معاني (من) المختلفة في: عمرو بن عثمان، سيبويه، الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م)، ص٢، ص١٣٥-١٣٦، جـ٤، ص٢٢٥؛ محمد بن يزيد المبرد، المقتضب، تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٩٩هـ)، جـ٤، ص١٣٧- ١٣٨، جـ٤، ص٥٢؛ ابن يعيش، شرح المفصل (بيروت: عالم الكتب، د. ت.)، جـ٨، ص١٢؛ محمد الإستراباذي، شرح الكافية في النحو (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.)، جـ٢، ص٣٢٢ وما بعدها؛ ابن مالك، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق محمد كامل بركات (القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ١٩٦٧م)، ص١٤٤؛ الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م) ص٣١٦؛ ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمدالله، ط٥ (بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩م)، ٤١٩؛ جلال الدين السيوطي، همع الهوامع شرح جمع الجوامع (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، د.ت.) جـ٢، ص٣٤-٣٥.

٢- انظر ذلك مفصلاً في: أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين

النحويين البصريين والكوفيين، (تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، د.ت.)، مسألة رقم (٥٤)؛ ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، ط٦ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٠م) جـ٢، ص١٢٨.

٣- المرادي، **الجنى الداني...**، ص٣١٣.

٤- انظر: المبرد، **المقتضب**، جـ١، ص٤٤؛ محمد بن سهل بن السراج، **الأصول في النحو**، تحقيق عبدالحسين الفتلي، ط٣ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٨م)، جـ١، ص٤٠٩.

٥- سورة الحج، آية ٣٠.

٦- ابن يعيش، **شرح المفصل**، جـ٨، ص١٠؛ وانظر: ابن هشام، **المغني**، ص٤١٩.

٧- ابن يعيش، **شرح المفصل**، جـ٨، ص١٠.

٨- ابن مالك، **التسهيل**، ص١٤٤.

٩- سيبويه، **الكتاب**، جـ٤، ص٢٢٤-٢٢٥.

١٠- المرادي، **الجنى الداني**، ص٣١٠ .

١١- المصدر السابق، ص٢٥٢؛ وانظر سيبويه، **الكتاب**، جـ٢، ص٣٠٨ .

١٢- المرجع السابق .

١٣- سورة التوبة، آية ١٠٨. ومثلها سورة الجمعة، آية ٩.

١٤- **صحيح البخاري بحاشية السندي**، (بيروت: دار المعرفة، د.ت.) باب الاستسقاء .

١٥- **ديوان النابغة الذبياني**، تحقيق كرم البستاني (بيروت: دار صادر، ١٩٥٣م)، ص١٠٥. وهو في: **ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد (بيروت: دار العلوم الحديثة، د.ت.) جـ٢، ص١٦؛ ابن هشام الأنصاري؛ **المغني**، ص٤٢٠؛ جلال الدين السيوطي، **شرح شواهد المغني** (بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت.)، ص٣٤٩.

١٦- أبوالعباس أحمد بن ثعلب، **شرح ديوان زهير ابن أبي سلمى** (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٤٤م)، ص٨٦. وذكر ثعلب لهذا البيت روايتين: الأولى عن أبي عمرو: (مِنْ حِجَجٍ وَمِنْ دَهْرِ) والثانية عن أبي عبيدة: (مُذْ حِجَجٍ وَمُذْ شَهْرِ). ولاشاهد في البيت على الرواية الثانية.

١٧- الرضي الإستراباذي، **شرح الكافية**، جـ٢، ص٣٢١.

١٨- انظر: ابن عقيل في شرحه لألفية ابن مالك، جـ٢، ص١٥-١٦.

١٩- انظر: محمد بن يوسف، أبو حيان، **تفسير البحر المحيط** (الرياض، مكتبة النصر الحديثة، د.ت.)، جـ٥، ص٩٩.

٢٠- ابن هشام الأنصاري، **أوضح المسالك**، جـ٢، ص١٢٨-١٢٩.

٢١- ابن هشام الأنصاري، **المغني**، ص٤٢٠.

٢٢- سورة الروم، آية ٤. و معها سورة البقرة، آية ٢٥ وآية ٢٣٠. وانظر: محمد عبدالخالق عضيمة، **دراسات لأسلوب القرآن الكريم**، ط١ (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٩٣هـ)، القسم الأول، جـ٣، ص٣٢٤ وما بعدها.

٢٣- هذه قطعة من بيت لسحيم عبد بني الحسحاس، والبيت بتمامه:

عُمَيْرَةَ وَدِّعْ إنْ تَجَهَّزْتَ غادِيا
كَفَى الشَّيْبُ والإسْلاَمُ لِلْمَرْءِ ناهيا

وهو من شواهد: سيبويه في **الكتاب**، جـ٢، ص٢٦؛ وابن هشام الأنصاري، **المغني**، ص١٤٤-١٤٥؛ وجلال الدين السيوطي، **شرح شواهد المغني**، جـ١، ص ٣٢٥. والرواية دون زيادة الباء. ولكن سيبويه ذكر أنه يجوز زيادة الباء فيقول: كفى بالشيب والإسلام، فتدخل الباء فيه توكيداً.

٢٤- سيبويه: **الكتاب**، جـ٢، ص٣١٥-٣١٦.

٢٥- المصدر السابق جـ٤، ص٢٢٥.

٢٦- انظر: المبرد، **المقتضب**، جـ٥٤، ص١٣٧-١٣٨؛ محمد بن سهل بن السراج، **الأصول في النحو**، جـ٢، ص٢٦٩؛ ابن يعيش، **شرح المفصل**، جـ٨، ص١٢٨؛ الرضي الإستراباذي، **شرح الكافية**، جـ٢، ص٣٨٤؛ ابن أبي الربيع عبيدالله بن أحمد السبتي، **البسيط في شرح جمل الزجاجي**، تحقيق: عياد بن عبيد الثبيتي، ط١ (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٦م)، جـ٢، ص٨٤٢-٨٤٤؛ ابن هشام الأنصاري، **المغني**، ص ٤٢٥؛ جلال الدين السوطي، **الهمع**، جـ٢، ص٣٥.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢٧- أبو القاسم عبد الرحمن الزجاجي، **حروف المعاني والصفات**، تحقيق: حسن شاذلي فرهود (الرياض: دار العلوم، ١٩٨٢م) ص٥٧.

٢٨- سيبويه، **الكتاب**، جـ٤، ص٢٢٥.

٢٩- المبرد، **المقتضب**، جـ٤، ص٣٥٧.

٣٠- سورة البقرة، آية ١٠٢.

٣١- سورة البقرة، آية ١٠٢.

٣٢- سورة آل عمران، آية ٣٥.

٣٣- سورة إبراهيم، آية ٤.

٣٤- انظر: محمد عبدالخالق عضيمة، **دراسات لأسلوب القرآن الكريم**، ط١ (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٧٣م) القسم الأول، جـ٣، ص٤١١-٤١٨.

٣٥- ابن يعيش، **شرح المفصل**، جـ٨، ص١٢.

ويذكر السبتي أن سيبويه اشترط هذه الشروط الثلاثة في غير التمييز. أما في التمييز فتزداد (من) من غير شروط. نحو قولهم: لله دركُ مِنْ رَجُلٍ. والأصل للّه درك رَجَلاً. ثم زيدت (من) توكيداً. انظر: السبتي، **البسيط في شرح جمل الزجاجي**، جـ٢، ص٨٤٢. والذي في الكتاب أن (من) هنا للتبعيض. وكذلك في التفضيل، يقول سيبويه: (وكذلك ويحه من رجل. إنما أراد أن يجعل التعجب من بعض الرجال. وكذلك: لي ملؤه من عسلٍ. وكذلك: هو أفضل من زيد. إنما أراد أن يفضله على بعض ولا يُعمّ). انظر: سيبويه، **الكتاب**، جـ٤، ص٢٢٥. فهذا دليل على أن (من) عند سيبويه لا تكون زائدة إلا بشرط أن تسبق بنفي أو شبهه. ولا تزداد عنده في الإيجاب.

٣٦- المرادي، **الجنى الداني**، ص٣١٧.

٣٧- بدر الدين محمد الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، ط٢ (بيروت: دار المعرفة، د.ت.) جـ٤، ص٤٢١.

٣٨- ابن هشام الأنصاري، **المغني**، ص٤١٩.

٣٩- سورة الأنعام، آية ٥٩.

٤٠- سورة الملك، آية ٣.

٤١- سورة فاطر، آية ٣.

٤٢- سورة الأنعام، آية ٣٨. وانظر أبو البقاء العكبري، **إملاء ماmنّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن**، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٧٩م)، جـ١، ص٢٤١. ويعني بكلمة في موضع المصدر أي: النائب عن المفعول المطلق.

٤٣- عبدالله بن مالك، **التسهيل**، ص١٤٤.

٤٤- سورة الفرقان، آية ١٨، وانظر هذه القراءة وتخريجها في: **إملاء ماmنّ به الرحمن**، لأبي البقاء العكبري، جـ٢، ص١٦١؛ محمد بن يوسف، أبوحيان، **تفسير البحر المحيط** (الرياض: مكتبة النصر الحديثة، د.ت.)، جـ٦، ص٤٨٨.

٤٥- المرادي، **الجنى الداني**، ص٣١٩.

٤٦- نور الدين عبدالرحمن الجامي، **الفوائد الضيائية، شرح كافية ابن الحاجب**، تحقيق: أسامة طه الرفاعي، ط١ (بغداد: مطبعة وزارة الأوقاف والشئون الدينية، ١٩٨٣م)، جـ٢، ص٣٢١.

٤٧- انظر: ابن هشام الأنصاري، **مغني اللبيب**، ص٤٢٥؛ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، **همع الهوامع**، جـ٢، ص٣٥.

٤٨- أبو العباس أحمد بن ثعلب، **شرح ديوان زهير ابن أبي سلمى** (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٤٤م)، ص٣٢.

٤٩- انظر: ابن عقيل، **شرح ألفية ابن مالك**، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، ط٢٠ (القاهرة: دار مصر للطباعة، ١٩٨٠م)، جـ٤، ص٤١، جلال الدين السيوطي، **شرح شواهد المغني** (بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت.) جـ٢، ص٩٠١.

٥٠- ابن هشام الأنصاري، **المغني**، ٤٢٠.

٥١- جلال الدين السيوطي، **الهمع**، جـ٢، ص٣٥.

٥٢- ابن مالك، **التسهيل**، ص١٤٤.

٥٣- ابن عقيل، **شرح ألفية ابن مالك**، جـ٢، ص١٥.

٥٤- سورة الكهف، آية ٣١.

٥٥- سورة إبراهيم، آية ١٠، سورة الأحقاف، آية ٣١، سورة نوح، آية ٤.

٥٦- سورة الزمر، آية ٥٣.

٥٧- سورة البقرة، آية ٢٧١.

٥٨- سورة النساء، آية ٣١.

٥٩- سورة الأنعام، آية ٣٤.

٦٠- سورة النور، آية ٣٠.

٦١- سورة المؤمنون، آية ٩١.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٦٢- سورة الحجر، آية ٥، سورة المؤمنون، آية٤٣.
٦٣- سورة الأحزاب، آية ٥٢، وانظر: محمد عبدالخالق عضيمة في دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، القسم الأول، جـ٣، ص٤١١-٤١٨.
٦٤- سورة فاطر، آية ٤١- وتفيد لام الجحود توكيد النفي عند الكوفيين، ووجه إفادتها التوكيد عندهم أنها تزاد لتوكيد النفي. انظر: ابن هشام الأنصاري، المغني، جـ١، ص٢٧٨. وتفيد عند البصريين بلاغة التعبير. فالتعبير بوجودها يصبح أبلغ من غيره. فقولنا: ماكان محمد ليكذبَ، أبلغ من قولنا: ماكان محمد يكذب. لأن الأول نفي للتهيئة والإرادة للكذب. وهو أبلغ من نفي الفعل. انظر: الزمخشري، في الكشاف، جـ١، ص٥٨٤؛ محمد ابن يوسف، أبو حيان، البحر المحيط، جـ٣، ص٣٧٣.
٦٥- سورة الحاقة، آية ٨.
٦٦- سورة الملك، آية ٣، سورة الروم، آية ٢٨، وآية ٤٠.
٦٧- سورة مريم، آية ٩٨ .
٦٨- سورة فاطر، آية ٤٤.
٦٩- سورة هود، آية ٥٦.
٧٠- سورة فاطر، آية ١١، سورة فصلت، آية٤٧، سورة الحديد، آية ٢٢، سورة الأنعام، آية ٤، وآية ٥٩.
٧١- سورة ص، آية ٥٤.
٧٢- سورة العنكبوت، آية ١٢.
٧٣- سورة البقرة، آية ١٠٢.
٧٤- سورة إبراهيم، آية ١٠، ومعها: سورة الأحقاف، آية ٣١، وسورة نوح، آية ٤.
٧٥- سورة الزمر، آية ٥٣.
٧٦- سورة القصص، آية ١٦.
٧٧- انظر: محمد فؤاد عبدالباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.) مادة : غ فَ رَ.
٧٨- انظر: أبوالقاسم عبدالرحمن السهيلي، نتائج الفكر في النحو، تحقيق محمد إبراهيم البنا، ط٢ (الرياض: دار الرياض، ١٩٨٤م)، ص٣٥٢.
٧٩- انظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، ط٤ (بيروت: دار المعرفة، ١٩٨٠م)، جـ٢٦، ص٢٠، محمد بن يوسف أبو حيان، تفسير البحر المحيط، جـ٥، ص٤٠٩.
٨٠- انظر: نظام الدين الحسن ابن محمد النيسابوري، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، بهامش جامع البيان في تفسير القرآن، لأبي جعفر بن محمد بن جرير الطبري، ط٤ (بيروت: دار المعرفة، ١٩٨٠م)، جـ٢٩، ص٤٩.
٨١- انظر: محمد فؤاد عبدالباقي، المعجم المفهرس، مادة غ ف ر.
٨٢ - سورة الزمر، آية ٥٣.
٨٣- انظر: ابن جرير الطبري، في تفسيره، جـ٢٤، ص١٠.
٨٤- سورة البقرة، آية ٢٧١.
٨٥- سورة النساء، آية ٣١.
٨٦- محمد بن يوسف، أبو حيان، تفسير البحر المحيط، جـ٢، ص٣٥٦.
٨٧- محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، جـ٣، ص٦٢.
٨٨- انظر المرجع السابق.
٨٩- انظر: سورة آل عمران، آية ١٩٥، سورة النساء، آية ٣١، سورة المائدة، آية ١٢ وآية ٦٥، سورة الأنفال، آية ٢٩، سورة العنكبوت، آية ٧، سورة الزمر، آية ٣٥، سورة محمد ﷺ ، آية ٢، سورة الفتح، آية ٥، سورة التغابن، آية ٩، سورة الطلاق، آية ٥، سورة التحريم، آية ٨.
٩٠- سورة النور، آية ٣٠.
٩١- أبو البقاء العكبري، إملاء مامن به الرحمن، جـ٢، ص١٥٧؛ محمد بن يوسف، أبو حيان، تفسير البحر المحيط جـ٦، ص٤٤٧؛ بدر الدين محمد الزركشي، البرهان في علوم القرآن، جـ٤، ص٤٢٥.
٩٢- سورة الأنعام، آية ٣٤.
٩٣- محمد الإستراباذي، شرح الكافية في النحو، جـ٢، ص٣٢٣.
٩٤- سورة آل عمران، آية ٤٤، وانظر: سورة الأعراف، آية ١٠١، سورة الإسراء، آية ٣٩، سورة طه، آية ٩٩، سورة القصص، آية ٣.
٩٥- سورة هود، آية ١٢٠.
٩٦- انظر: ابن أبي الربيع، عبيدالله بن أحمد السبتي، البسيط في شرح جمل الزجاجي، جـ٢، ص٨٤٤.
٩٧- شوقي ضيف، المدارس النحوية (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٨م)، ص٢٥٤.

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

المكتبات العامة في خطط التنمية بالمملكة العربية السعودية

هشام بن عبدالله العباس

أستاذ مشارك بقسم المكتبات والمعلومات

جامعة الملك عبدالعزيز - جدة

المقدمة

يشهد العالم الحديث وعيًا متزايداً بأهمية المكتبات، وذلك لما لها من دور فعال ومؤثر في تنمية المجتمعات وتطورها، إذ بدون نظام معلومات فعال لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تكون هناك تنمية حقيقية في المجالات المختلفة كالمجال الاقتصادي والاجتماعي والثقافي ، كما أن تقدم المجتمعات ورفعتها مرتبط بشكل كبير بمقدار ما تقدمه نظم المكتبات والمعلومات من خدمات فعالة للمستفيدين ، وقد أدركت دولة مثل الولايات المتحدة الأمريكية، منذ زمن طويل، أهمية وحيوية المكتبات في نموها الوطني، فحينما أنشأ الكونجرس الأمريكي اللجنة الوطنية للمكتبات والمعلومات (قانون ٩١-٣٤٥) أكد على ضرورة توافر خدمات مكتبات ومعلومات فعالة ومؤثرة لمواجهة احتياجات الشعب الأمريكي بوصفها ضرورية وأساسية لتحقيق الأهداف الوطنية للبلاد وللاستخدام الفعال والمؤثر للموارد التعليمية للأمة (١)، كما أكدت كثير من الدراسات عجز كثير من الدول عن القضاء الكامل على الأمية وشمولية التعليم ورفع مستوى النظم التعليمية، نتيجة لعدم وجود نظام مكتبات فعال ومتطور . ففي العشرينات من القرن الحالي كانت نسبة الأمية في ماكان يسمى بالاتحاد السوفيتي - تترواح ما بين ٨٠-٩٠٪ لذلك اهتمت الحكومة آنذاك بدعم برنامج محو الأمية من خلال تطوير نظام المكتبات ، وذلك اعتقاداً منها بأهميــة الدور الذي يمكـن أن تؤديه المكتبات في حمـلاتها لمحو الأمية ، وفي بث المعلومـات اللازمـة للنمو الاقتصـادي، وفي الخطط التنموية للبـلاد (٢) .

لذلك ازدهر التعليم في الاتحاد السوفيتي، حين عدت المكتبة ركيزة أساسية لتوفير المعلومات ومصادرها وإتاحتها لكل أفراد المجتمع (٣) .

وللتأكيد على مدى إسهامات خدمات المكتبات في التعليم ، يشير (بينا C.V. Penna) إلى أنه لو قدر للقيادات الوطنية في البلدان المختلفة التعرف إلى الطرق العديدة التي يمكن أن تسهم بها خدمات المكتبات والمعلومات في معالجة المشكلات التي تواجه تطور التعليم لما توانت في طلب المساعدة والعون منها.

وكانت المحاولات الأكثر جدية والأطول زمنيّاً التي لاقت بالفعل رواجًا ونجاحًا كبيرين تلك التي بذلت في مجال التعليم، حيث استطاعت المكتبة الإسهام بشكل جدي ومثمر في خدمة المناهج الدراسية وتدعيمها، وفي إكساب الطلاب خبرات متعددة تتصل بالاستخدام العلمي والمفيد لجميع أوعية المعلومات (٤).

التخطيط الوطني للمكتبات العامة

تعد المكتبة العامة في العصر الحديث مرفقًا أساسياً ومهماً لا يمكن الاستغناء عنه في المجتمع المعاصر، لما لها من دور بالغ الأهمية في التكوين الثقافي والتربوي والتعليمي والاجتماعي للمجتمع. فهي فضلاً عن كونها مركزاً لتجميع مختلف أوعية المعلومات وتنظيمها وتيسير استخدامها لمختلف الأغراض التعليمية والتربوية والثقافية والاجتماعية .... ، فإنها تثري الحياة التنموية للبلد وتخدم أبعادها المختلفة من ناحية، وتدعم النشاطات الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية من ناحية أخرى .

وقد تزايد الاهتمام بالتخطيط الوطني لخدمات المكتبات العامة على وجه الخصوص في كثير من دول العالم، وأسهمت منظمة اليونسكو في تنفيذ عدد من خطط المكتبات طويلة الأجل ، من مثل إنشاء المكتبة العامة في مدينة دلهي في عام ١٩٥١م ، وما تلاها من مشاريع المكتبات العامة المشابهة في كل من مدينة «مدلين» بكولومبيا ومدينة «أيتوجو» في شرق أفريقيا. ومن الأمثلة الأخرى على نشاطات منظمة اليونسكو الملحوظ تأسيس معهد التخطيط الدولي بمدينة باريس عام ١٩٦٣م. وقد احتوى المنهج (المعد أساسًا للقائمين على التخطيط التربوي في الدول النامية) على تخطيط خدمات المكتبات ، لأن تخطيط المكتبات جزء لا يتجزأ من التخطيط العام.

ويزخر الإنتاج الفكري بعدد وافر من الخطط لتوفير أفضل الخدمات، ومن أمثلتها الخطط التي وضعها كل من «ليج Leigh»(٥) و «بنج Bunge» (٦) و «رايك Rike»(٧) وبينا Penna (٨) ، الذي أكد عند تناوله لموضوع التخطيط لخدمات المكتبات بالدول النامية على ضرورة إعطاء الأولية للعائد الاقتصادي والتعليمي والثقافي الذي نجنيه من توافر خدمت متطورة للمكتبات كي تأخذ مكانها الطبيعي والصحيح في التنمية الوطنية (٩) . كما أكد «بينا» على ضرورة التخطيط لمواجهة متطلبات وتطلعات المستقبل التي تفرضها التنمية الوطنية المتسمة بالسرعة (١٠) .

أثر الخطط على المكتبات العامة بالمملكة العربية السعودية

أولت حكومة المملكة العربية السعودية اهتمامًا متزايداً بالمكتبات ومراكز المعلومات، وذلك منذ البدء في وضع الخطط الخمسية التي تغطي شتى المجالات الاقتصادية والاجتماعية والعلمية والثقافية، حيث كان للمكتبات وتنميتها نصيب في بنود جميع خطط التنمية الخمسية ، التي تم تنفيذها على مدى خمس وعشرين سنة ماضية وآخرها الخامسة التي تبدأ من العام ١٤١٠هـ إلى العام ١٤١٥هـ. مما أدى إلى زيادة دورها في التعليم على المستوى الوطني وفي حل كثير من المشكلات التي تواجهها البلاد .

وقد ركزت الخطة الخمسية الأولى (١٣٩٠-١٣٩٥هـ) على إرساء قواعد أساسية فيما يتعلق بالبدء بتنمية هذا القطاع، ونصت في أحد بنودها على التالي :

«وستعمد الأجهزة المختصة إلى توسيع وتحسين شبكات المكتبات العامة مع إعطاء الأولوية في ذلك إلى زيادة مجموعات الكتب وتوسعة أقسام النشرات الدورية وتزويد المكتبات بالأثاث والأجهزة التي تحتاجها» (١١) .

كما أكدت في موضع آخر على (١٢) :

أ - العمل على تحسين أوضاع المكتبات العامة القائمة حالياً عن طريق تزويدها بمزيد من الكتب والأثاث والأجهزة.

ب - إنشاء مبانٍ لخمس من المكتبات الحالية الموجودة، في مبانٍ مستأجرة.

ج - تأسيس مكتبات جديدة حيثما توجد ضرورة لذلك مع إعطاء الأولوية لإنشاء مكتبة في الطائف.

لذلك تبنت كل من وزارة المعارف ووزارة الحج والأوقاف آنذاك، وهما الوزارتان المسئولتان عن المكتبات العامة خلال السنوات الخمس ١٣٩٠-١٣٩٥هـ بعض البرامج لتحسين أوضاع المكتبات العامة القائمة، وبالفعل تم تنفيذ عدد من الإنشاءات الجديدة شملت أهم المكتبات العامة كمكتبة ابن عباس التاريخية بمدينة الطائف ، والمكتبة العامة بالمدينة المنورة، وكذلك إعادة ترميم عدد كبير من المكتبات العامة التابعة للوزارتين المذكورتين، كما شملت التحسينات إعادة تجهيز عدد كبير من المكتبات بالأثاث

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والأجهزة المناسبة، وبلغ عدد المكتبات العامة التي أنشئت آنذاك عشر مكتبات يعمل بها ستة وأربعون موظفًا وتضم ٣٧٥,٦٠٧ مجلدات من الأوعية المختلفة.

وفي الخطة الخمسية الثانية (١٣٩٥-١٤٠٠) نصت الاستراتيجية الأساسية فيما يتعلق بخطة التنمية الثقافية على ما يلي:

«انطلاقًا من مبدأ استمرارية التعليم ؛ فإن وزارة المعارف تعمل على توسيع برامجها لإثراء الشعب السعودي فكرياً، وتوجه عناية خاصة إلى نشر المكتبات العامة وإنشاء المتاحف والمحافظة على الأماكن التاريخية والاستكشافات الأثرية. وذلك عن طريق تحسين المكتبات العامة في المملكة ضمن برنامج التجديد، وإعادة البناء بما يساير التصميمات الحديثة للمكتبات وزيادة نشاط المكتبات، حيث أصبحت تشمل المعارض السنوية لفنون الطلاب ومعارض الكتب التي تعرض فيها المطبوعات الجديدة في مختلف التخصصات»[١٣].

ولتحقيق ذلك، حددت الخطة عدداً من الأهداف الرئيسة اختصت بعضها بتنمية نظم المكتبات السعودية وكانت أهم هذه الأهداف ما يلي[١٤]:

١ - توسيع نظام المكتبات العامة وتحسين تجهيزات المكتبات.

٢ - إنشاء متحف وطني لإتاحة الفرصة أمام السعوديين لزيادة معلوماتهم عن التراث الديني والثقافي والاجتماعي، وبالتالي زيادة تقديرهم وتفهمهم لهذا التراث.

٣ - تطوير تجهيزات دارة الملك عبدالعزيز وأوجه نشاطها بوصفها مكتبة رئيسة ومركزًا للبحوث والنشر والثقافة يختص بشبه الجزيرة العربية عامة والمملكة العربية السعودية بوجه خاص.

أما البرامج والمشروعات التي اعتمدت لتلك الخطة فكانت كالتالي[١٥]:

١- إتمام إنشاء المكتبة السابق اعتمادها (التي سوف يتبقى لها ٢٣,٦٪ من الاعتمادات الأصلية) عام ١٣٩٥-١٣٩٦هـ .

٢ - إقامة مركز للتراجم الشخصية ، وافتتاح عشر مكتبات عامة جديدة بمعدل مكتبتين كل عام ابتداءً من عام ١٣٩٥-١٣٩٦هـ لزيادة عدد المكتبات العامة من ٢٢ إلى ٣٢ مكتبة مع نهاية الخطة.

٣ - في خلال الفترة من ١٣٩٦- ١٣٩٧ إلى ١٣٩٧-١٣٩٨هـ يتم إنشاء مبنى لمكتبة كبيرة وخمسة مبانٍ لمكتبات متوسطة وعشرة مبانٍ لمكتبات صغيرة تحل محل المكتبات الحالية.

وسارعت الجهات الحكومية المسئولة بتنفيذ عدد من المشاريع المهمة، فتولت وزارة المعارف إنشاء عدد من المكتبات العامة الكبيرة في عدد من المدن الرئيسة بالمملكة كجدة والرياض ومكة المكرمة والطائف والمدينة المنورة والدمام والهفوف وأبها، وقامت بتجهيزها بالأثاث والأجهزة المناسبة، ورصدت في ميزانياتها المبالغ الخاصة بتزويد هذه المكتبات بالمواد اللازمة، وتوسعت في الخدمات المكتبية، بحيث شمل تصميم تلك المباني الحديثة أقسامًا للأطفال وقاعات للمراجع وصالات كبرى للعرض والمحاضرات. وأمكن بتلك الخطوة الانتقال من المكتبات العامة المحدودة الخدمات إلى نظم مكتبة حديثة إلى حدٍ ما.

وبلغت أعداد المكتبات العامة التي أضيفت خلال الخطة الثانية أربع عشرة مكتبة، يعمل بها واحد وخمسون موظفًا وتضم ٤٦٧,٦٤٧ مجلداً من الأوعية المختلفة.

ولما كان الاهتمام في الخطتين الخمسيتين (الأولى والثانية) منصبّاً على التجهيزات الأساسية وخاصة في مجالات المكتبات العامة والجامعية، فقد جاءت الخطة الخمسية الثالثة (١٤٠٠-١٤٠٥هـ) وهي تحمل في طياتها توصيات تتعلق باستكمال عناصر شبكة المكتبات الوطنية عن طريق تأكيدها على ضرورة إنشاء مكتبة وطنية ونظام متكامل للمعلومات:

«وهناك تحسينات أخرى تتعلق بتحسين إعداد المخططات العامة للجامعات وتصاميم المباني الجامعية التي ستأخذ في اعتبارها المواصفات التعليمية للبرامج، وكذلك إنشاء مكتبة وطنية ونظام للمعلومات»[١٦].

كما أكدت على وزارة المعارف بضرورة زيادة عدد المكتبات العامة كمّاً وكيفًا مع العناية ببرامج التدريب والتأهيل، إذ تنص الخطة على:

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

«تنمية قدرة الوزارة (وزارة المعارف) على التخطيط النوعي، وزيادة عدد المدارس والمكتبات العامة والتوسع في برامج تعليم الكبار وتطويره وربط هذه البرامج بدورات تدريبية لاحقة لاكتساب المهارات» (١٧).

وفي إطار التخطيط لإنشاء المكتبة الوطنية؛ فإن الخطة الخمسية الثالثة قد أناطت بوزارة التعليم العالي مهمة إجراء دراسة تمهيدية لإنشاء مكتبة مركزية وطنية (١٨).

وعلى إثر ذلك أصدر وزير التعليم العالي قراراً بتشكيل لجنة وطنية لدراسة مشروع إنشاء المكتبة الوطنية برئاسته وعضوية وكيل وزارة التعليم العالي، ومندوبين عن وزارة الحج والأوقاف، ومعهد الإدارة العامة، ووزارة التخطيط، ووزارة المعارف، وكلا من السادة عباس طاشكندي وعبدالعزيز النهاري وحسن الزاير . وقد توصلت اللجنة التي عقدت اجتماعها في الفترة من ١٤٠٢/٨/٩هـ- ١٤٠٣/٢/٧هـ إلى تصور كامل لإنشاء المكتبة الوطنية، وقد عدّ ذلك التصور الكامل قاعدة أساسية تنطلق منها الدراسة التمهيدية لإنشاء المكتبة الوطنية إلى جهة متخصصة تعد الدراسات اللازمة لهذه المكتبة، وبتشكيل لجنة ثلاثية لمتابعة مشروع المكتبة الوطنية (١٩) .

وقد بلغت أعدادالمكتبات العامة التي أضيفت خلال الخطة الثالثة تسع مكتبات عامة يعمل بها سبعة عشر موظفاً، وتضم ٢١١,٩٣٧ مجلداً من الأوعية المختلفة.

كما أولت الأسس الاستراتيجية لخطة التنمية الرابعة (١٤٠٥-١٤١٠هـ) أهمية كبرى للثقافة، وخصت المكتبات لكونها إحدى الدعائم الأساسية لنشر الثقافة بالبلاد، حيث أكدت على استمرار الدولة على رعاية وتشجيع انتشار المكتبات وخاصة العامة (٢٠)، وأن تضاف إلى الخدمات الاجتماعية ومراكز الشباب (٢١) ، مع تشجيع الطلاب وتعويدهم على الاستفادة من المكتبات، كما نصت الخطة على إنشاء مكتبة وطنية تشمل كل مؤلفات الكتاب السعوديين المطبوع منها والمخطوط (٢٢).

وقد استفيد من مشروع مكتبة الملك فهد العامة التي أعلن عنها في ١٤٠٣/١/٢٧هـ لتكون معلماً تذكارياً يخلد ذكرى تولي خادم الحرمين الشريفين لمهام الحكم، وأسهم أهالي مدينة الرياض في تكاليف إنشائها، وأشرفت أمانة مدينة الرياض على تنفيذها في عام ١٤٠٦هـ ، وقام برعايتها منذ البدء صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز، ثم أصدر خادم الحرمين الشريفين أمره بضمها إلى الدولة، واعتبارها المكتبة الوطنية للمملكة في ١٤١٠/٥/١٠هـ (٢٣) ، وعدل مسماها إلى مكتبة الملك فهد الوطنية .

وقد بلغت أعداد المكتبات العامة التي أضيفت خلال الخطة الخمسية الرابعة إحدى عشرة مكتبة عامة يعمل بها خمس وعشرون موظفاً وتضم ٣٢٠,٣٧١ مجلداً من الأوعية المختلفة.

أما خطة التنمية الخامسة (١٤١٠-١٤١٥هـ) فقد انتقلت إلى مرحلة التقويم والمراجعة لما تم تشييده وإنجازه في الخطط السابقة، حيث أكدت الخطة على «وجود حاجة لإعادة تقويم للمقتنيات وإمكانيات التوزيع والخدمة في نظام المكتبات، وذلك من خلال إجراء دراسة جدوى إنشاء لجنة وطنية للمكتبات تكون مهمتها:

١ - تطوير خطة رئيسية لكافة المكتبات العامة.
٢ - تقويم كافة المرافق والخدمات ذات العلاقة.
٣ - إتاحة استفادة النساء من المكتبات.
٤ - التوصية بأهداف وسياسات جديدة.
٥ - الاضطلاع بمسئوليات التخطيط والتنسيق والمتابعة والإشراف المتعلقة بخطة تنفيذية للمكتبات القائمة والمزمعة» (٢٤) .

وهكذا يتضح أن الخطة الخمسية الخامسة تحمل بين طياتها كثيراً من التوجهات والأفكار الجديدة لمستقبل مشرق ومزدهر للمكتبات العامة بالمملكة، وذلك مثل إنشاء لجنة وطنية للمكتبات واستفادة النساء من المكتبات.

لذلك نجد أن عدد المكتبات العامة خلال الخطة الخمسية الخامسة زاد على ما كان عليه بمعدل تسع مكتبات عامة يعمل بها اثنا عشر موظفاً، وتضم ٢٢٣,٨٧٠ مجلداً من الأوعية المختلفة ليصبح مجموعها ثماني وستين مكتبة عامة يعمل بها مئتين وخمسة موظفين وتضم ١,٢١٤,٠٦١ مجلداً من الأوعية المختلفة، أما عدد المكتبات التي تقع في مبانٍ دائمة فتصل إلى ٤٥ مكتبة. وذلك بنهاية الخطة وبالتحديد ببداية عام ١٤١٥هـ (٢٥) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

المكتبات العامة التابعة لوزارة المعارف حسب الخطط الخمسية للتنمية بالمملكة (٢٦)				
السنوات	عدد المكتبات	عدد مجلدات الكتب	عدد مجلدات الدوريات	العاملون
ماقبل ١٣٩٠	١٥	٣٨٧,٣٢٩	٢٣٨	٥٤
١٣٩٠-١٣٩٥	١٠	١٩٩,٦٠٧	١٧٦	٤٦
١٣٩٥-١٤٠٠	١٤	٢٤٦,٦٤٧	٢٢١	٥١
١٤٠٠-١٤٠٥	٩	٧٧,٩٣٧	١٣٤	١٧
١٤٠٥-١٤١٠	١١	١٢٨,٣٧١	١٩٢	٢٥
١٤١٠-١٤١٥	٩	٦١,٨٧٠	١٦٢	١٢
الإجمالي	٦٨	١,١٠١,٧٦١	١١٢٣	٢٠٥

بالإضافة إلى وجود عدد من المكتبات التاريخية والمكتبات الأخرى التي يصل عددها إلى (١٧) مكتبة يشرف عليها عدد من الأجهزة والوزارات الحكومية والمؤسسات الخيرية الخاصة وتصل عدد المجلدات التي تمتلكها تلك المكتبات حوالى ٧٣٦,٢٠١ كتاب و ١٠٤٢ دورية، ويبلغ عدد الموظفين الذين يعملون في هذه المكتبات حوالي ٢٠٥ . أما عدد المكتبات التي تقع في مبان دائمة فيصل إلى (١٤) مكتبة من أصل (١٧) (٢٧).

بعض مستلزمات التخطيط المتوافرة للمكتبة العامة بالمملكة

استلزم الانتشار السريع للمكتبات في المملكة إعداد جيل من المتخصصين المؤهلين للقيام بإدارتها وتنظيمها بعد ازدياد الطلب على المعلومات واستخدام التقنيات الحديثة في حفظها واسترجاعها، الأمر الذي حث المسئولين في وزارة المعارف للاهتمام بابتعاث عدد من الشباب السعودي للتخصص في مجال المكتبات، وذلك ابتداء من عام ١٣٧٨هـ للدراسة في قسم المكتبات والوثائق بجامعة القاهرة (٢٨).

وتوالت فيما بعد البعثات الدراسية للتخصص في حقل المكتبات والمعلومات من لدن الوزارات والإدارات الحكومية، وخاصة من لدن الجامعات السعودية، حيث أنشئت الأقسام العلمية لتدريس علم المكتبات والمعلومات، وكان أول قسم علمي هو قسم المكتبات والمعلومات بجامعة الملك عبدالعزيز، الذي أنشئ في عام ١٣٩٤هـ.

ثم تلته أقسام المكتبات والمعلومات في كل من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في عام ٩٤-٩٥، وجامعة الملك سعود في عام ١٤٠٦هـ، وجامعة أم القرى عام ١٤٠٧هـ. وأخيراً كلية الآداب بالرياض التابعة للرئاسة العامة لتعليم البنات في عام ١٤٠٤هـ (٢٩)؛ إلى جانب برامج الدراسات العليا التي تقدمها كل من جامعة الملك عبدالعزيز ١٣٩٦ وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٢هـ وكلية الآداب بالرياض التابعة للرئاسة العامة لتعليم البنات في عام ١٤١٠هـ (٣٠).

بالإضافة إلى ذلك؛ فإن معهد الإدارة العامة تخصص في تقديم العديد من الدورات التدريبية منذ عام ٨٨ – ١٣٨٩هـ مثل برامج موظفي المكتبات وبرنامج أمناء المكتبات وبرنامج دبلوم دراسات المكتبات ... (٣١) كما أن بعض الهيئات قد اهتمت بإقامة بعض الدورات والدراسات والبرامج المكتبية الصغيرة بهدف تدريب الراغبين في مزاولة هذه المهنة لأول مرة؛ وذلك لتكوين مكتبيين مبتدئين لسد النقص في الأيدي العاملة.

وبلغ عدد الحاصلين على درجة الماجستير أكثر من أربعين خريجاً كما بلغ عدد الحاصلين على درجة الدكتوراه أكثر من سبعة وعشرين سعودياً.

كما أن الإنتاج الفكري السعودي في المكتبات

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

والمعلومات نما نمواً طيباً فوصل العدد إلى ١٩٣٣مادة بنسبة ١٥,٩٪ من أصل ١٢,٢٩٥ مادة من إجمالي الإنتاج الفكري العربي خلال الأعوام من ١٨٧٠-١٩٩٠م (٣٢)، وبذلك احتلت المملكة العربية السعودية المركز الثاني بعد مصر في الإنتاج الفكري العربي في مجال المكتبات والمعلومات وكان نصيب المكتبات العامة من ذلك الإنتاج [٣٧] مقالة بنسبة ٢,٦٪ (٣٣).

وهكذا نجد أن من نتائج ما أولته الدولة من اهتمام بالمكتبات ومراكز المعلومات في خططها الخمسية للتنمية، أنها أصبحت تشكل نواة لشبكة معلومات متطورة تفيد في التخطيط السليم لحاضر البلاد ومستقبلها في شتى المجالات التنموية، باعتبار المكتبات ضرورية وأساسية لتحقيق الأهداف الوطنية للبلد والأمة وللاستخدام الفعال والمؤثر للمواد المختلفة .

الملامح العامة للمكتبات العامة للمملكة

وعلى الرغم من اهتمام الدولة البالغ بالمكتبات العامة بأن أولتها عناية خاصة في خططها الخمسية للتنمية، باعتبار أن المكتبات ضرورية وأساسية لتحقيق الأهداف الوطنية للبلد والأمة وللاستخدام الفعال والمؤثر للمواد المختلفة؛ فإن المكتبات العامة بالمملكة عجزت تماماً عن مسايرة عوامل النهضة التي تعيشها المدينة والقرية السعودية فضلاً عن عدم مسايرتها لخدمات المعلومات المتطورة ، التي أصبحت من سمات المكتبات الحديثة، والاستفادة من الخبرات الوطنية المتخصصة والباحثين خلال هذه الفترات الطويلة من إنشائها، وهي فترات ليست بالقصيرة مما قد يتبادر إلى الأذهان استجابتها لاحتياجات المستفدين واهتماماتهم إلا أن الواقع يؤكد عدم قيامها بالواجبات المتاحة من توفير للموارد والخدمات .

لقد عانت المكتبات العامة بالمملكة ، ولاتزال تعاني، الكثير من التدهور والتخلف والجمود وذلك على الرغم من إنشاء إدارة خاصة بالمكتبات العامة بوزارة المعارف في عام ١٣٧٩هـ تشرف عليها وتعمل على إدارتها وتطويرها.

لقد أصبحت المكتبات العامة في المملكة في حالة انعدام وزن كامل فهي تئن تحت وطأة كثير من الصعوبات والمشكلات التي يمكن حصر بعض منها فيما يلي :

١ - عدم تكافؤ الفرص بين المناطق والمدن في توزيع المكتبات العامة إذ تفوقت المنطقة الوسطى على المناطق الأخرى في عدد المكتبات العامة، حيث بلغت ثلاثًا وثلاثين مكتبة عامة تليها المنطقة الغربية، وبها أربع عشرة مكتبة عامة منها ثماني مكتبات تاريخية. وأن مدينة الرياض وحدها يوجد بها خمس مكتبات عامة بينما لا يزيد عدد المكتبات العامة في جدة على مكتبة واحدة فقط، وذلك على الرغم من أن عدد سكان مدينة جدة لا يقل كثيراً عن سكان الرياض، واقتصار الخدمات المكتبية الموجودة على بعض المدن دون غيرها وإهمال القرى بشكل عام، حيث إن في المملكة ما يزيد على اثنين ومئة مدينة وأكثر من (١٠٣٦٤) قرية وهجرة .

٢ - ضعف الإدارة العامة للمكتبات العامة بوزارة المعارف قياساً بالأعباء والمسئوليات الصحيحة المفروض القيام بها.

٣ - سياسة الارتجال التي تتبع في إنشائها، بحيث لا يتم ذلك وفقًا لخطة علمية مدروسة، مما يتسبب عنه إنتاج وحدات مكتبية قاصرة وضعيفة .

٤ - عدم وضوح المفهوم العام للمكتبة العامة وفلسفتها في أذهان المسئولين عن كثير من المكتبات أو في مجموعة الأنظمة والتعليمات، والقوانين إن وجدت .

٥ - عدم الوعي بأهمية المكتبات في التنمية والتربية والبحث والثقافة، ولا يقتصر عدم الوعي هذا على المواطنين العاديين، ولكنه ينسحب - وهذا هو الأخطر - على المسئولين الحكوميين أصحاب القرار.

٦ - نقص التشريعات المكتبية والأنظمة التي يعوّل عليها في إدارة وتوجيه هذه المكتبات.

٧ - ضآلة الاعتمادات المالية، وعدم كفايتها بما يتلاءم ورسالة المكتبات العامة وأهدافها، كما أنها لا تحظى أساسًا بميزانيات مستقلة ضمن مخصصات الوزارة.

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

٨ - اقتصار الخدمات المكتبية على فئات معينة من المجتمع، وإهمالها لفئات النساء والكبار والأميين، والأطفال بالبلد وسكان المناطق النائية والريفية.

٩ - لم تسهم المكتبات العامة بأي حال من الأحوال في برامج محو الأمية التي أولتها الدولة جل اهتمامها وسخرت لها كل إمكاناتها للقضاء عليها.

١٠- عدم تمكن كثير من المكتبات العامة في المملكة من اقتناء ما تحتاجه من أوعية معلومات مختلفة، على الرغم من أنه قد مضى على تأسيس بعضها أكثر من ربع قرن، كما لم تؤثر في ذلك الظروف الاجتماعية والاقتصادية المريحة التي صاحبت نمو وتأسيس بعض المكتبات. ولم تنعكس سنوات التأسيس على المجموعات باستثناء مكتبة أو مكتبتين .

كما أن عمليات الاختيار والتزويد للمجموعات تخضع أساسًا للأهواء والآراء غير المبنية على سياسات واضحة مكتوبة، وإن كان هناك تصور عام لطبيعة المصادر المزمع إضافتها إلى المكتبات أن لا تمس العقيدة، ولا تخل بالأعراف والتقاليد، أو تسيئ إلى البلاد، لذلك فقد جاءت محتوياتها متشابهة إلى حد كبير وغير ممثلة لاحتياجات المجتمع الذي أنشئت من أجله، الأمر الذي جعل منها مكتبات متكررة .

ويلاحظ على تلك المجموعات المتواضعة عدم توازنها وقدمها، فجاءت ميتة راكدة على الدوام بدون استبعاد لما هو عبء على المجموعات. كما لا توجد إضافات منتظمة؛ بل تخضع في كثير من الأحيان لما يتوافر من كتب جديدة، ولمدى قدرة مباني المكتبات على استيعاب المزيد من الكتب كل عام .

ولا تهتم المكتبات العامة بوسائل حفظ وصيانة مجموعاتها من عوامل التلف المتعددة كالضوء والحرارة والرطوبة والحشرات وخلافها، وذلك على الرغم من الحاجة الماسة لترميم وصيانة المباني وصيانة مجموعاتها وخاصة المخطوطات الثمينة.

١١- نقص الموظفين سواء من ذوي الخبرة والتخصص؛ بل إن كثيرًا من المكتبات العامة لا تضم حتى الحد الأدنى من العاملين المهنيين، كما أن بعضها لا يوجد بها أي متخصص مهني، وإسناد الأعمال الفنية في معظم الأحيان إلى موظفين تنقصهم الدراية الكافية بشئون المكتبات علمًا وعملاً، مما نتج عنه تأخر نمو المكتبات وعدم قيامها بواجبها كما ينبغي.

١٢- عد العمل في المكتبة عملاً تأديبياً في بعض الأحيان، بحيث يحال إلى العمل بها المقصرون من الموظفين أو من أدركتهم الشيخوخة، أو برزت فيهم مشكلات تعوق العملية التعليمية أو الإدارية، وكأنها المكان المناسب للعقوبة دون النظر إلى سلبيات هذا الجزاء.

١٣- لم يراع ديوان الخدمة المدنية بالمملكة في تصنيفه للوظائف متطلبات المكتبات، حيث أتاح للحاصلين على الشهادة المتوسطة و الثانوية والجامعية المطلقة فرص الالتحاق بالمكتبات ومراكز المعلومات على مسميات مهنية، كما مكنهم من التقدم إلى المراكز المهنية القيادية بخبرات عامة، إذ يجيز للحاصل على الشهادة المتوسطة بخبرة عامة مدتها عشرون سنة التعيين على وظائف اختصاصي مكتبات، أو أية وظيفة قيادية مهنية في هذا الحقل دون قيود تأهيلية.

١٤- تجاهل المسئولين عمومًا تلبية حاجات المكتبة وتأجيل طلباتها، وعدّت في آخر الأولويات مما يحبط معنويات العاملين بها ويؤخر عملهم ويضعف إنتاجهم، ويعيق عملهم في كثير من الأحيان لعدم توافر المتطلبات الضرورية.

١٥- خضوع المكتبات العامة لأحكام لائحة المخازن التي تقصر واجبات أمناء المكتبات على حراسة العهدة ومحاسبتهم على كل كتاب يتعرض للفقدان أو التلف، مما أدى إلى حرصهم على تخزين الكتب وعدم تشجيع تداولها بين القراء، مما يؤدي إلى إحجام كثير من المكتبات العامة بالأخذ بنظام الإعارة الخارجية والاكتفاء بتطبيق نظام الإعارة الداخلية.

١٦- إن كثيرًا من مباني المكتبات العامة الحكومية منها أو المستأجرة لا تفي بأغراض المكتبات العامة، من حيث استيعابها للمجموعات أو الأعمال الوظيفية أو

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com

نشاطات المكتبة كما لا يتوافر في معظمها المناخ المطلوب للمقتنيات والقراءة من حيث الإضاءة والتبريد والتدفئة والتهوية التي تؤثر كثيراً على حالة المقتنيات وكذلك على القراءة الهادئة الممتعة.

كما يلحظ أن المساحة المخصصة للكبار تختلط في كثير من المكتبات بالمساحة المخصصة (إن وجدت) للأطفال، أما الأثاث ولا سيما المقاعد والطاولات فهي للكبار.

١٧- إن الأثاث المستخدم في كثير من المكتبات العامة بالمملكة لا يتمشى بأي حال من الأحوال مع المعايير والمواصفات المطلوب توافرها في مثل هذه المكتبات مما يجعلها في كثير من الأحيان غير ملائمة للخدمة المكتبية، ولصيانة مقتنياتها.

وفيما يخص الأجهزة فهي غير متوافرة في بعض هذه المكتبات بشكل كافٍ، كما أنها غير موجودة في معظم هذه المكتبات.

١٨- إن مواعيد فتح المكتبات العامة غير مناسبة للكثيرين؛ لأن معظمها تقع في فترة محدودة وهي فترة الدوام الرسمي. وهذا بلاشك يقلل من الخدمة، وبالتالي يحدّ من فعاليتها، ويبرر ندرتها.

١٩- ضعف العلاقة بين المكتبة والجمهور ولا سيما العلاقات العامة التي يقوم بها المجتمع داخل المكتبة كالمحاضرات والندوات وغيرها ... أو خارجها بالانتماء إليها في شكل جماعة تعمل على خدمتها وتطوير مواردها.

٢٠- اقتصار أغلب المكتبات العام على عدد محدود من القاعات والأقسام مثل إدارة المكتبة وقاعة المطالعة وقاعة الدوريات وأحياناً قاعة للمراجع وأخرى للأطفال.

ونتيجة لتلك المعاناة ؛ فإن إسهام المكتبات العامة بالمملكة ؛ في البرامج التنموية للبلد غير إيجابي في حياة المجتمع السعودي؛ لأن الجهة المسئولة عنها وهي وزارة المعارف لم تتمكن من استثمار الدعم السخي الذي أولته الدولة للمكتبات العامة بوصفها مصدر ثروة الأمم وأداة أساسية في تنمية البلد ومواطنيه ، وقد نجد لها العذر في المسئوليات الكثيرة والكبيرة المناطة بهذه الوزارة ، ونستثني من الكلام السابق مكتبة الملك عبدالعزيز العامة التابعة للحرس الوطني، والتي أنشأها ويدعمها شخصيّاً صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني ، إذ تعد نموذجاً متقدماً على المستوى العربي .

وأخيراً ؛ فإن من المهم إعادة النظر في وضع المكتبات العامة التابعة لوزارة المعارف ووزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، والعمل على تطويرها بأسلوب معاصر حتى تساير النهضة الشاملة التي تعيشها البلاد .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

المصادر والهوامش

1- U.S National Commission on Libraries and Information Science. **Toward a National Program for Libraries and Information Services: Goals for Action** Washington D.C 1975. p . 5.

2- McCovlin L. R . **The Chance to Read: Public Libraries in the World Today**. London: Phoenix House, 1956. p . 143.

3- Counts, George S. **The Challenge of Soviet Education**. New York: McGraw - Hill, 1956. p 195.

4- Penna. C.V, **Planning of Library and Information Services** 2nd ed, revised and enlarged by P. H. sewell and Liebaers Paris: UNESCO, 1970. p. 29.

5- Leigh Robert D. **The Public Library in the**

U.S.: The General Report of the Public Library Inquiry, New York: Columbia University Press, 1950.

6- Bunge, Charles A. "Statewide Library Surveys and Plans: Development of the Concept and some Recent Patterns".The Library Quarterly . 36 (January, 1966) 25- 37.

7- Rike Galen E . Statewide Library Surveys and Plans: An Annotated Bibliography, 1956 - 1967. Springfield, Illinois State Library, 1968.

8 - Penna, op Cit.

9 - Ibid, p . 16.

10- Ibid, p . 15 .

١١- وزارة التخطيط. خطة التنمية الأولى، الرياض، ١٣٩٠، ص٢٨٠.

١٢- المصدر نفسه، ص ١١٨.

١٣- وزارة التخطيط. خطة التنمية الثانية، الرياض ١٣٩٥، ص٥١٦.

١٤- المصدر نفسه، ص ٥١٧.

١٥- المصدر نفسه، ص ٥١٧.

١٦- وزارة التخطيط. خطة التنمية الثالثة، الرياض، ١٤٠٠، ص٢٥٠.

١٧-المصدر نفسه، ص ٢٥٤.

١٨- المصدر نفسه، ص ٢٦٣.

١٩- عبدالعزيز محمد النهاري. «المكتبة الوطنية في المملكة العربية السعودية» - مكتبة الإدارة، مج١٣/ع١، المحرم ١٤٠٦، ص ٢٩١.

٢٠- وزارة التخطيط. خطة التنمية الرابعة، الرياض ١٤٠٥، ص٣٦٧ - ٣٦٨.

٢١- المصدر نفسه، ص ٣٧٣.

٢٢- المصدر نفسه، ص ١٥٤.

٢٣- مكتبة الملك فهد الوطنية. أخبار المكتبة، ع١، ربيع الآخر ١٤١٢، ص ١.

٢٤- وزارة التخطيط. خطة التنمية الخامسة، الرياض، ١٤١٠هـ، ص ٣٨٠.

٢٥- سعد عبدالله الضبيعان. إطلالة تاريخية على المكتبات العامة في المملكة العربية السعودية مع دليل شامل لها، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٥هـ.

٢٦- المصدر نفسه.

٢٧- المصدر نفسه، ص ٢٨-٣٢.

٢٨- أنس صالح طاشكندي. التأهيل المهني في مجال المكتبات بالمملكة العربية السعودية، دراسة مسحية (رسالة ماجستير)، جدة. قسم المكتبات والمعلومات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٢، ص ٩١.

٢٩- هشام بن عبدالله العباس، «واقع الدراسات العليا في مجال المكتبات والمعلومات من وجهة نظر الطلبة الحاصلين على درجة الماجستير من أقسام المكتبات والمعلومات في الجامعات السعودية. مجلة جامعة الملك عبدالعزيز، الآداب والعلوم الإنسانية، تحت الطبع، ١٤١٥هـ.

٣٠- ـــــــ . الركائز الأساسية للنظام الوطني للمكتبات العامة بالمملكة العربية السعودية، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٤هـ، ص ٣٤-٣٥.

٣١- المصدر نفسه، ص ٣٤.

٣٢- عبدالرحمن حمد العكرش وسمير نجم حمادة، خصائص الإنتاج الفكري العربي في مجال المكتبات والمعلومات ١٨٧٠-١٩٩٠، دراسة ببليومترية، الرياض، مركز البحوث، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ١٤١٤، ص ٦٧.

٣٣- المصدر نفسه، ص٧٤ ، ٩١.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تطور خدمات المعلومات للمكفوفين وضعاف البصر

مع دراسة حالة عن مصر*

ناريمان إسماعيل متولي

مدرس علم المعلومات

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

تقديم

يعود اهتمام الباحثة بموضوع هذه الدراسة إلى حدثين أساسيين أولهما تلقي دعوة الاتحاد الدولي لجمعيات المكتبات والمؤسسات (إفلا IFLA) لحضور مؤتمر إستانبول في صيف ١٩٩٥ عن خدمات المكتبات والمعلومات التي تقدم لضعاف البصر، وثانيهما مشروع مبنى الرعاية الاجتماعية والثقافية للمكفوفين الموجود داخل كلية الآداب، الذي ترعاه جامعة الإسكندرية لخدمة المكفوفين وضعاف البصر من طلبة وطالبات كليات الآداب والحقوق والتجارة.

وإذا كان الحدث قد أثار اهتمام الباحثة لدى دراسة تطور خدمات المكتبات والمعلومات التي تقدم للمكفوفين وضعاف البصر في العلم وتحديداً مع تطور تكنولوجيا المعلومات وتطبيقاتها في هذا المجال؛ فإن الحدث الثاني قد أثار اهتمامها أيضًا لدراسة الموضوع نفسه عن مصر بصفة عامة وعن مدينة الإسكندرية بصفة خاصة ورسالة الماجستير الوحيدة ذات العلاقة بالموضوع، التي قدمت لقسم المكتبات والوثائق بجامعة القاهرة منذ أكثر من عشر سنوات قد اقتصرت على مدينة القاهرة الكبرى. وإذا كان الرفيق القارئ أو استخدام نظام برايل Braille هو النشاط السائد في معظم البلاد النامية لخدمة المكفوفين أو ضعاف البصر داخل المكتبة أو خارجها، فقد استخدمت العديد من الدول المتقدمة تكنولوجيا المعلومات المتمثلة في حفظ المعلومات واسترجاعها وعرضها ، أي استخدام الحاسبات الآلية والاتصالات ووسائل الاتصال والأقراص المكتنزة (CD- ROM) والفيوداتا Viewdata وغيرها من التكوينات المادية والتنظيمية الحديثة (Hardware & Software) لتهيئة البيئة المناسبة لجعل المكفوفين وضعاف البصر مواطنين صالحين إيجابيين، يشاركون في الحياة الإنتاجية والثقافية والفكرية لبلادهم.

وإذا كان الإنتاج الفكري العربي لا يتناول هذه الظواهر والنشاطات الحديثة إلا تناولاً هامشيّاً، فقد رأت الباحثة أن تكون هذه الدراسة نظرة طائر على تطور خدمات المعلومات للمكفوفين وضعاف البصر في العالم كمحاولة لحفز المسئولين المصريين على تبني هذه الأساليب الحديثة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وستتناول الدراسة الحالية المحاور السبعة التالية :

أولاً - أهمية خدمات المعلومات للمكفوفين وضعاف البصر كجزء من خدمات المكتبات العامة أو كخدمات مستقلة:

«يرجع البدء في تعليم المكفوفين القراءة بطريقة اللمس إلى القرن السابع عشر الميلادي. وكانت الأنظمة الأولى المستخدمة تتكون من حروف الهجاء التي تقدم إليهم في أشكال محفورة أو بارزة. ومع تطور فنون الطباعة والتوسع في محو الأمية بين القطاعات في المجتمع الدولي زادت الحاجة إلى أنظمة القراءة باللمس. وحتى القرن التاسع عشر لم تكن هذه الأنظمة قد تطورت بالقدر الكافي

فلم يستفد منها سوى عدد ضئيل جداً من المكفوفين الموهوبين، فلما جاء القرن التاسع عشر أدخلت التحسينات على الأنظمة القديمة وأصبحت هناك فئتان من حروف الهجاء، تعتمد إحداهما على النقاط المرفوعة والأخرى على أشكال مبسطة من حروف الهجاء، التقليدية المرفوعة أيضًا. ومن بين الأنظمة المختلفة لقي نظام «براي» ونظام «مون» نجاحًا منقطع النظير إلى يومنا هذا». (أمين البنهاوي، ١٩٨٤، ص١٠١).

أما في العالم العربي فلم تعرف طريقة «برايل» إلا في سنة ١٨٩٧م، حيث وضعت لها رموز خاصة في مدينة القدس في فلسطين ثم انتشرت بعد ذلك إلى كافة الأقطار العربية (توفيق عبدالحسن، وأحمد محمد يونس، ١٩٧٦، ص٧٣).

كما ظهرت أولى الجمعيات المهتمة بتعليم المكفوفين وتأهيلهم في فلسطين سنة ١٩٣١، وقد بدأ الاهتمام بتعليم المكفوفين وضعاف البصر في مصر في أوائل الخمسينات من هذا القرن، أما في منطقة الخليج العربي فقد تم افتتاح أول معهد للمكفوفين في العراق عام ١٩٤٩ أما في المملكة العربية السعودية فقد ظهر أول معهد مسائي خاص حين سمحت وزارة المعارف للأستاذ عبدالله الغانم بإقامة ذلك المعهد سنة ١٣٧٨هـ (١٩٥٨)، ويعلم المكفوفون فيه القراءة والكتابة باستخدام طريقة «برايل». وظهر أول معهد للمكفوفين في الكويت سنة ١٩٦٥، وفي الأردن فقد أقيمت دراسة مختلطة للمكفوفين سنة ١٩٦٩. وقد واكب هذا الاهتمام التعليمي بالمكفوفين تأسيس مطابع «برايل» إلى جانب طباعة مختلفة أنواع التسجيلات النقطية لهم. (عبدالوهاب عبدالواسع. د. ت.، ص١١٠).

١- الفرق بين خدمات المكتبة العامة وخدمات مكتبة ضعاف البصر:

يعتمد ضعاف البصر في معظم الدول النامية على المبصرين للقراءة لهم، وتنعدم أو تندر خدمات المكتبات والمعلومات التي تقدم لهم، وواجب الدول المختلفة في سعيها للارتقاء بمختلف فئات مواطنيها أن تنشئ لهم هذه الخدمات، إذا لم يكن من الممكن دمجها مع خدمات المكتبة العامة أي إنه من الضروري أن تهيأ لضعاف البصر في جميع أنحاء العالم فرص التعليم والتدريب المهني والعمل نفسها المهيأة فعلاً لزملائهم المبصرين، فضلاً عن ضرورة قيام ضعاف البصر بدور إيجابي في الحياة العامة الاجتماعية والثقافية والسياسية. وإذا كانت الكتب والمجلات والدوريات وغيرها من أوعية المعلومات هي المصادر الرئيسة للحياة التعليمية والثقافية والسياسية في أي مجتمع معاصر، فمن الضروري بناء على ذلك إنشاء نظام إنتاجي للمواد القرائية - بطريقة برايل أو على أشرطة - فضلاً عن خدمة معلوماتية لخدمة ضعاف البصر، وذلك طبقًا لما جاء في دستور اليونسكو للمكتبة العامة كما يلي:

* تعد المكتبة العامة هي الوسيلة الرئيسة لإتاحة سجل الإنسان الفكري والتعبير عن تصوراته الإبداعية لجميع أولئك الذين يرغبون في التعرف إليها.
* ينبغي أن تنشأ المكتبة العامة بناء على القوانين التي تضعها الدولة لضمان تقديم خدمة مكتبية عامة على اتساع الدولة، فضلاً عن ضرورة وجود التعاون المنظم بين المكتبات حتى يمكن الإفادة من مختلف الموارد الوطنية وتكون تحت طلب أي قارئ في أي مكان بالقطر.
* يجب أن تمول المكتبات العامة من الميزانية العامة، كما لا ينبغي أن تحصل على أية تكاليف مباشرة نظير خدماتها التي تقدم لجميع روادها بدون استثناء، أي دون تمييز بين روادها بسبب الجنس أو اللون أو الانتماء الوطني أو السن أو الدين أو اللغة أو الوضع الاجتماعي أو المستوى العلمي. هذا ويفترض أن تنهض الخدمة المكتبية لضعاف البصر بمسئولية إضافية عن تلك التي أوردتها هيئة اليونسكو أعلاه، ذلك لأن اختيارها وإنتاجها للمواد القرائية يصبح الإتاحة الحقيقية الوحيدة للمعلومات المكتوبة لضعاف البصر.

وهناك فرق جوهري آخر بين المكتبة العامة ومكتبة ضعاف البصر، ويتمثل هذا الفرق في وجود نظام إنتاجي خاص - للمواد القرائية بطريقة برايل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أو على أشرطة - كأحد أقسام المكتبة، أو كقسم له ارتباط وثيق بالمكتبة العامة، ولا يغيب عن الأذهان التكاليف الباهظة اللازمة للإنتاج على طريقة برايل أو على الأشرطة خاصة أن هذه تقدم لفئة قليلة العدد نسبيّاً، من أجل ذلك فينبغي على الدول الفقيرة التعرف إلى الجماعات المستهدفة Target groups وعلى الأولويات، وذلك لمناقشتها في المراحل المبدئية لإنشاء الخدمة المكتبية لضعاف البصر (Thomsens, P., 1985, p. 36).

٢ - تحديد الجماعات المستهدفة :

تهتم معظم النظم التعليمية في الدول المتقدمة والنامية بإتاحة فرص التعليم لضعاف البصر، كما يتاح التعليم الجامعي لبعض هؤلاء الطلاب بعد استكمالهم لتعليمهم الابتدائي أو الثانوي؛ بل ويتاح لهم التوظف بعد تدريبهم الأكاديمي أو المهني، ومع ذلك فمازال الأميون منهم يمثلون أكبر جماعة وبالذات في الدول النامية.

وعلى هذا فقد حدد المجتمعون في الحلقة البحثية التي عقدتها هيئة اليونسكو والاتحاد الدولي لجمعيات المكتبات في نوفمبر ١٩٨٠ بتانزانيا عن خدمات المكتبات للقراء بأن الجماعات المستهدفة لضعاف البصر ، هي جماعات :

* ضعاف البصر في الهيئات (المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية، كليات التدريب، الجامعات، مراكز التأهيل المهني).
* الأميون الذين يمثلون أغلبية السكان ضعاف البصر في كثير من الدول النامية.

وانتهى المجتمعون إلى أن أولئك الذين ينتمون إلى الهيئات يجب أن تكون لهم الأولوية في خدمات المكتبات (Thomsens, P., 1985, p. 37).

٣ - مزايا وعيوب استخدام نظم المكتبة العامة القائمة أو إنشاء نظم خاصة لضعاف البصر:

تتطلب خدمات المكتبات لضعاف البصر، إنشاء نظام البرايل والكتب الناطقة كنشاطات مسبقة للقيام بالخدمات، فضلاً عن وضع نظام توزيع يتميز بالكفاءة، ويجب عدم إنشاء نظم جديدة، مادام في الإمكان الإفادة من النظم القائمة ... والمهم هنا هو قيام وحدة واحدة في الدولة بإنتاج مواد قرائية تبعًا لطريقة برايل وكذلك الأشرطة المسجلة من أجل ضمان ضغط الإنفاق وقيام المكتبة بعملية اختيار الكتب التي يتم إنتاجها، فضلاً عن القيام بعمليات الاستعارة والتبادل.

أما بالنسبة لنظام التوزيع من الوحدة المركزية، فهو يعتمد، إلى حد كبير، على الظروف المحلية كخدمات البريد ونظم المكتبات الموجودة والجماعات المستهدفة والمصادر المالية وغيرها. ويثار عادة عدة بدائل بالنسبة لقيام المكتبة المركزية بتوزيع الكتب منها:

أ - أن يتم ذلك من خلال الهيئات (المدارس، مراكز التأهيل، وحدات المكتبات المحلية...).

ب - أن يتم ذلك من خلال الهيئات والأفراد.

جـ - أن يتم ذلك إلى الأفراد فقط.

وواضح أن اختيار أي واحد من هذه البدائل معتمد على حجم البنية الأساسية المكتبية بالدولة.

وهناك مزايا وعيوب لاستخدام نظم المكتبة العامة القائمة فعلاً، وهي:

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

المزايا:

* الإفادة من البنية الأساسية الموجودة (المباني - خدمات المعلومات - الوحدات المتنقلة....).
* الإفادة من المهنيين ذوي الخبرة.
* ستكون الميزانية الإضافية مشكلة صغيرة، أي إن المبالغ المطلوبة ستكون أقل كثيراً من الميزانية المطلوبة لإنشاء الخدمات الجديدة.

العيوب :

* لا تتوافر في العديد من المكتبات العامة أماكن للاختزان أو العمل الإضافي.
* الكتب على طريقة برايل تمثل صعوبة في اختزانها بالمكتبة.
* قد تكون المواد التي يتم توزيعها على ضعاف البصر غير كافية.
* قد يكون الأمناء غير مدربين على هذه الخدمة الجديدة أو صيانة موادها.

أما بالنسبة لإنشاء نظام خاص لضعاف البصر فالمزايا والعيوب كما يلي :

المزايا:

* سيكون الأمناء مدربين خصيصًا للاستجابة لاحتياجات القراء ضعاف البصر.

العيوب:

* التكاليف العالية نسبيّاً بالنسبة لعملية الإنشاء، ثم الاستمرارية في تقديم الخدمات.
* قد يرى المسئولون عدم أهمية تعيين أمناء متخصصين في خدمة ضعاف البصر، نظرًا لأن هذه خدمة اجتماعية أكثر منها عملية ثقافية أو تعليمية (Thomsens, P., 1985, p. 40-41).

ثانيًا - تطوير معايير خدمات المكتبات التي تقدم لضعاف البصر:

لعل هذه الخدمات المنظمة قد بدأت بالولايات المتحدة الأمريكية منذ عام ١٩٣١، وتقدم لحوالي ١,٤٪ من مجموع السكان البالغ عددهم الآن أكثر من مئتي وخمسين مليون نسمه. وتشمل هذه الخدمات بناء مجموعات من كتب برايل Embossed Brailled Books، وتعد مكتبة الكونجرس محور شبكة خدمات ضعاف البصر، حيث توجد ضمن هذه الشبكة مكتبات إقليمية، وقد كانت كتب برايل هذه ترسل بالمجان لفاقدي البصر أو ضعافه.

وقد أثر التقدم التكنولوجي منذ الستينات على خدمات المكتبات لضعاف البصر، حيث تم إنتاج عدد من الكتب على شرائط Open- reel tape، ثم أدى هذا الشكل إلى إنتاج الشرائط المسموعة Audio Cassettes واستخدامها.

أما من ناحية دراسة المعايير فقد قامت المؤسسة الأمريكية لفاقدي البصر(AFB) عام ١٩٦٤ بإنشاء لجنة المعايير والاعتراف بالخدمات لفاقدي البصر، وكان من بين إنجازات هذه اللجنة، صياغة معايير للهيئات التي تخدم فاقدي البصر والمعاقين، تم نشر هذه المعايير عام ١٩٦٦ تحت اسم (Commission on standard 1966 (COMSTAC...، وقامت جمعية المكتبات الأمريكية ALA بتبني هذه المعايير في يوليو ١٩٦٦ ونشرت عام ١٩٦٧. ولكن معظم المكتبات وجدت هذه المعايير مثالية وغير عملية في التطبيق، وبالتالي عدَّت هذه المعايير متقادمة Obsolete منذ عام ١٩٧٥(Prine, S., 1982, p, 100).

وعلى الرغم من الجهود التي تمت بعد ذلك فلم تر هذه المعايير النور حتى كتابة هذه السطور، وتقوم جمعية هيئات المكتبات المتخصصة والمتعاونة ASCLA منذ عام ١٩٧٩ بالتعاون مع الأقسام المختلفة لجمعية المكتبات الأمريكية ALA بالعمل على دمج معايير المعاقين ضمن المعايير العامة لخدمات المكتبات والمعلومات (Prine, S., 1982, p, 104).

ثالثًا - تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في خدمة ضعاف البصر:

دخلت تكنولوجيا المعلومات بقوة في مجال خدمة المكفوفين وضعاف البصر، وشمل ذلك عمليات اختيار الأدوات والمعينات المساعدة لضعاف البصر وتقييمها، بما في ذلك إعداد الببليوجرافيات الشاملة للكتب والمقالات المتعلقة بمشكلات تقديم خدمات المكتبات المتطورة لضعاف البصر، فضلاً عن المصادر التي تشرح بالتفصيل التجهيزات التكنولوجية الحديثة (Bekiars, S., 1984) ولعل الباحثة تشير هنا إلى بعض تلك الجوانب وأهمها ما قامت به مكتبة الكونجرس الرائدة في مجال خدمة المكفوفين وضعاف البصر، حيث قامت بإنشاء نظام عملي لإنتاج فهرس موحد لعناوين مختلف المجموعات الموجودة بمكتبة الكونجرس (قسم المكفوفين والمعاقين بدنيّاً) ويشمل هذا النظام الشبكة الإقليمية ووكالاتها عن طريق استخدام قاعدة بيانات مقروءة آليّاً، وقد تحددت الأهداف الرئيسة لهذا النظام في تحسين الضبط الببليوجرافي للمواد التي يتم الحصول عليها بواسطة كل من قسم المكفوفين والمعاقين بدنيّاً DBPH والمكتبات الداخلة في الشبكة، وكذلك في تحسين الضبط الإداري لهذه المواد، ولتحقيق تلك الأهداف يشمل تصميم نظام المعلومات الببليوجرافي ثلاث نظم فرعية، هي:

أ – نظام التجهيز In- Process System .

ب – نظام الفهرس الموحد .

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com

ج - نظام المعلومات الإداري.

وقد وضعت خطة تطبيق النظام (بما يحتاجه من التكوينات المادية والتنظيمية -Hard ware & Soft) (ware والمتطلبات الداعمة على مراحل تستغرق ثلاث سنوات (Systems- Architects....,1975).

هذا؛ وقد قامت مكتبة الكونجرس بعد ذلك باستخدام نظم الاسترجاع المتنقل في مكتبات الكتاب الناطق Talking Books لخدمة ضعاف البصر، وبرنامج مكتبة الكونجرس لفاقدي البصر يشمل حوالي ستين مكتبة إقليمية وحوالي مئتي مكتبة محلية، وهناك حوالي ٢٢,٠٠٠مستعير لكتب برايل فضلاً عن أكثر من ثلاثة عشر مليون مادة يتم تداولها سنوياً بين القراء ضعاف البصر، وحتى يمكن ترشيد الإنفاق وتقليل المساحة مع توسيع الخدمة، فقد تم حفظ الكتب الناطقة بطريقة تزيد من إمكانات الحفظ بحوالي ١٠٠٪ وذلك باستخدام النظام المتنقل ذي الكثافة العالية High Density Mobile Sys- tem (Special Libraries....., 1980).

أما المكتبة الإقليمية التي أنشئت في فلوريدا خصيصًا للمكفوفين والمعاقين بدنيًا فقد أدخلت تكنولوجيا جديدة لتيسير الوصول إلى الكتب واستعارتها وإعادتها عن طريق أشكال حساسة لحاملي الكتب تنتجها وتولدها الحاسبات الآلية:

Computer- generated Continuous pressure sensitive label form, detachable web forms for book carriers. (Kast, J., 1985).

وعن استخدام التيليتكست والمعلومات المرئية للمكفوفين فقد قامت العديد من الجامعات ومن بينها جامعة سوثهامبتون Southhampton بإنجلترا (قسم الإلكترونيات) بتطوير جهاز يعتمد على التجهيز المصغر micro processor وذلك لتحويل صفحات من التيليتكست والمعلومات المرئية إلى أشكال تناسب المكفوفين، أي إن البحث هنا تركز على تطوير التكوينات المادية والتنظيمية Hardware & Software لتحويل المعلومات إلى نظام برايل (مرحلة أولى) Grade I Braille، وهذه تعرض بعد ذلك على صفوف من الرءوس النشطة كهربيًا Refreshable row of electrically activated pins وترتب هذه الرءوس في شكل برايل المعياري، وقد دلت الاستجابات وردود الفعل على صلاحية هذا الجهاز، خاصة مع خطط تطويره (King, R. 1982).

كما كان للأقراص المكتنزة CD- ROM دورها الواضح أيضًا في التسعينات لخدمة المكفوفين وضعاف البصر، وقد قام الباحث ماتس (Mates, B., 1990) بشرح الطرق العديدة التي يمكن بواسطتها إفادة المكفوفين وضعاف البصر من تلك الأقراص المكتنزة التي تعبر عن مختلف قواعد المعلومات الإلكترونية المحلية والدولية، حيث بين كيفية تحويل العلوم والخدمات المرجعية والوثائق التاريخية الأمريكية إلى نظام برايل Braille وإلى حروف مطبوعة كبيرة Large print وإلى المخرجات الصوتية -Voice out puts فضلاً عن شرح التكوينات المادية والتنظيمية Hardware & Software المطلوبة إلى جانب تدريب الأمناء والموظفين القادرين على تقديم هذه الخدمة.

وأخيرًا؛ تشير الباحثة إلى واحد من النظم الآلية المتكاملة المتطورة المعروف باسم أطلس ATLAS الذي أدخلته جماعة بحوث البيانات في سانت لويس بأمريكا لاستخدامه في مكتبات المكفوفين والمعاقين بدنيًا ويشرح الباحث ميلنجر (Mellinger, M.J.,1987) ما يميز هذا النظام من تكنولوجيا (Digital VAX /VMS Environment).

رابعًا - خدمات المكتبات والمعلومات للمكفوفين وضعاف البصر في مصر: دراسة حالة.

يمكن تصنيف المعاقين بصريًا بأنهم أولئك المكفوفون المصابون بالعمى الكلي أو المكفوفون جزئيًا ولهم بقية بصر ولكن بصرهم ضعيف جداً، ويقع ضمن المعاقين بصريًا أيضًا المصابون بالعمش وأولئك الذين كان بصرهم ضعيفًا أو عاديًا ثم تحولوا إلى مكفوفين كليًا.

وتقدر نسبة المعاقين من سكان العالم العربي بـ ١٢٪ وتشير إحدى الدراسات الحديثة نسبيًا أن عدد

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

المعاقين في العالم العربي يبلغ ثُمْن مجموع السكان، أي مايزيد على ستة عشر مليون شخص.

وإذا كان عدد سكان مصر حالياً يقدر بحوالي ٦٠ مليون نسمة؛ فإن نسبة المكفوفين وضعاف البصر يقدر بحوالي نصف مليون نسمة، وفي حقيقة الأمر؛ فإن نسبة المعاقين بصرياً في العالم العربي بصفة عامة وفي مصر بصفة خاصة لا تعكس الصورة الحقيقية لعدد المصابين، وذلك لعدم وجود مسح إحصائي ولو تقريبي يمكن أن تعتمده كل دولة لمعرفة حجم المعاقين الموجودين لديها. (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ١٩٨٢، ص١٢).

هذا؛ وتعد رسالة الماجستير لأميرة غطاس في هذا المجال أول دراسة ميدانية للخدمات المكتبية التي تقدمها بعض مراكز خدمة المعاقين في القاهرة ومدى إمكان النهوض بتلك الخدمات. (أميرة عبدالسيد غطاس. الخدمة المكتبية للمعوقين.- ١٩٨٤) وقد تضمنت الرسالة دراسة خمس عشرة مكتبة وقع عليها الاختيار من بين مكتبات المعاقين في مصر وفي رأي الباحثة (أميرة) أن هذه المكتبات قد تم اختيارها إما لأنها تمثل أفضل ماهو موجود بالنسبة للخدمة المكتبية لفئات المعاقين عقلياً ونفسياً وجسدياً أو لأنها الوحيدة لخدمة تلك الفئة ولا يوجد بديل عنها.

والمكتبات التي وقع عليها الاختيار بالذات في مجال المعاقين بصرياً:

أ - بالنسبة للمكفوفين :

- مكتبة المركز النموذجي لرعاية وتوجيه المكفوفين بالزيتون «قصر النور».
- مكتبة مدرسة المركز النموذجي لرعاية وتوجيه المكفوفين بترعة الجبل.
- قاعة المواد السمعية بالمكتبة المركزية لجامعة القاهرة.
- قاعة المكفوفين بدار الكتب القومية.

ب - بالنسبة لضعاف البصر:

- مكتبة مدرسة المحافظة على البصر المشتركة بشبرا.

وتوجد الآن بمكتبة القاهرة الكبرى مكتبة سمعية على أحدث طراز فني وتقني تقدم خدماتها للمكفوفين وضعاف البصر.

وقد كان نتيجة لدراسة هذه المكتبات بعض النتائج كمايلي: (أميرة عبدالسيد غطاس. ١٩٨٤، ص٢٧٠-٢٧٣).

- على الرغم من أن الاهتمام بالخدمة المكتبية للمكفوفين بدأ في منتصف الخمسينات، وكذلك لضعاف البصر في منتصف الستينات من هذا القرن إلا أن معايير الخدمة المكتبية للمكفوفين لا تطبق في أية مكتبة من المكتبات التي تمت دراستها.
- من الملاحظ أن أمناء المكتبات المكفوفين إما مبصرون أو مكفوفون باستثناء مكتبة مدرسة المركز النموذجي لرعاية وتوجيه المكفوفين التي تجمع بين الاثنين فالأمينة المسئولة مبصرة يعاونها أمين كفيف في نشاطات المكتبة وفي تنظيم الكتب المكتوبة بطريقة برايل وهو الوضع الأمثل لضمان دقة الأداة.
- لاتوجد ميزانيات كافية لشراء المواد المكتبية للمكفوفين، حيث إن الاعتماد أساسًا على مجموعة الأشرطة المهداة من هيئات أجنبية وعربية، ويقتصر وجود المواد السمعية على قاعة المواد السمعية بجامعة القاهرة ومكتبة قصر النور، وتقتصر المواد السمعية في المكتبة الأولى على المناهج الدراسية التي تدرس في كليات الآداب والحقوق والإعلام وهي الكليات التي توجد بها نسبة من الطلبة المكفوفين. هذا بالإضافة إلى أن عجز الميزانية قد أدى إلى إنه لا يوجد في مصر حتى الآن استوديوهات لتسجيل الكتب الناطقة لبيعها لجمهور القراء وللمكتبات التي تخدم المكفوفين وغيرهم.
- لاتوجد حتى الآن صحف يومية مكتوبة بطريقة برايل للقراء المكفوفين، كما لاتوجد صحف مطبوعة بالبنط الكبير من أجل ضعاف البصر. وتوجد دوريتان مطبوعتان بطريقة برايل يصدرهما قصر النور، إحداهما تصدر للكبار وهي مجلة «المصباح» وتصدر شهرية إلا أنها غير منتظمة، والأخرى للأطفال وهي مجلة «دنيا الأطفال» وقد توقف صدورها منذ عام ١٩٦٣ وبذلك فقد الطفل المصري الكفيف مصدرًا مهمّاً للترفيه والتثقيف.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

- يطبع قصر النور المناهج الدراسية للمراحل التعليمية المختلفة في مصر وبعض الدول العربية بطريقة برايل، أما إنتاجه من الكتب غير الدراسية فهو محدود جداً في إطار الكتب الدينية التي تنحصر في القرآن الكريم وتفسيره ومجموعة من الأحاديث وأعداد قليلة من كتب التراجم ثم الموسيقا والعلوم الاجتماعية ويلاحظ أنه لايهتم بالمظهر المادي الخارجي لهذه المواد المطبوعة.
- لم تطبع في مصر مواد مرجعية خاصة بالمكفوفين باستثناء القاموس العصري إنجليزي - عربي لإلياس أنطون إلياس، الذي قام قصر النور بطباعته بطريقة برايل.
- استخدام الطلبة ضعاف البصر للمكتبة يكاد يكون معدومًا نتيجة لعدم وجود كتب بالبنط الكبير أو معينات قرائية للحفاظ على البقية المتبقية من الإبصار لهؤلاء الطلبة.
- القصور الواضح في الفهارس المطبوعة بطريقة برايل مما يؤدي إلى صعوبة معرفة القارئ الكفيف بالكتب الموجودة بالمكتبة. هذا بالإضافة إلى عدم وجود أية وسيلة لتعريف القارئ الكفيف بالكتب الجديدة إلا عن طريق جماعة أصدقاء المكتبة وحصة المكتبة، وفيما عدا ذلك لا توجد قوائم أو معارض للكتب الجديدة المطبوعة بطريقة برايل.
- لاتقدم بالمكتبات العامة خدمات مكتبية لفئة المكفوفين وضعاف البصر بالرغم من أنها توجد في مناطق عديدة يسهل الوصول إليها من لدن المكفوفين إلا أنها تقف موقفًا سلبياً تجاه خدمات هذه الفئة.

خدمات المعلومات لضعاف البصر والمكفوفين: دراسة حالة بمدينة الإسكندرية.

إذا كان البحث الوحيد على مستوى درجة الماجستير الذي تم عن مصر (أميرة غطاس، ١٩٨٤) قد اقتصر على مدينة القاهرة، فقد فضلت الباحثة القيام بدراسة ميدانية عن خدمات المعلومات لضعاف البصر والمكفوفين بمدينة الإسكندرية، وقد تبين للباحثة أن هذه الخدمات تؤدي في الوقت الحاضر على مستويات ثلاثة، وهي:

أ - المستوى القاعدي:

وهو المتعلق بارتياد هؤلاء المكفوفين وضعاف البصر لمختلف مكتبات جامعة الإسكندرية وتخصيصًا العامة والجامعية، ويصحبهم عادة قراء للإفادة من مصادر المعلومات المتوافرة بهذه المكتبات.... وغني عن البيان أن استخدام هؤلاء للمكتبات الجامعية يكون عادة للتحصيل الدراسي الأكاديمي.

ب - المستوى المتوسط :

وهو الذي يتم في بعض مدارس وزارة التربية والتعليم، التي تضم مراحل التعليم المختلفة من الحضانة إلى الثانوي.

جـ - المستوى الجامعي :

وهو الذي تنهض به جامعة الإسكندرية (تجمع كليات الآداب والحقوق والتجارة) فيما يسمى مركز الرعاية الاجتماعية والثقافية للمكفوفين.

وقد قامت الباحثة بإجراء مقابلات مخططة للطلبة والطالبات في مدرستي النور للبنات والنور للبنين للتعرف إلى الخدمات التي تؤدى لهم فعلاً، مع التعرف على طموحاتهم في هذا المجال، مع بيان مختصر عن المبنى والأثاث والمجموعات والتنظيم، أما بالنسبة للمستوى الجامعي فقد قامت الباحثة أيضًا بعمل مقابلات مخططة مع المشرفين على مشروع مركز الرعاية الاجتماعية والثقافية للمكفوفين، وذلك للتعرف إلى خططهم المستقبلية في التطوير.

١ - الخدمات على المستوى المتوسط :

أ- مدرسة النور للبنات :

يرجع تاريخ إنشاء هذه المدرسة إلى حوالي ١٩٤٢ وكان مقرها الأول بأبي قير بالإسكندرية ثم انتقلت بعد ذلك إلى شارع أمير البحر بحي محرم بك.

وهذه المدرسة في بدايتها كانت تقتصر على المرحلة الابتدائية، ثم بعد ذلك أصبح هناك مرحلة إعدادية ثم ثانوية بالمدرسة واللافت للنظر حقاً بهذه

المدرسة هو مرحلة الحضانة وهي مرحلة مشتركة تضم البنات والبنين معًا وتتعهدهم المدرسة من سن ثلاث سنوات وحتى دخولهم للمرحلة الابتدائية، وقد تم إنشاء مبانٍ حديثة داخل مبنى المدرسة وذلك للاستجابة لأية زيادة في أعداد الطالبات الكفيفات مستقبلاً كما توجد بالمدرسة قاعتان للمكتبة الأولى قاعة مكتبة مبصر والقاعة الأخرى قاعة مكتبة برايل.

وتضم القاعة الأخيرة ١٣٠٠كتاب برايل كما يوجد بها جهاز طبع أو نسخ للأشرطة التعليمية والثقافية والدينية الموجودة بالمكتبة. وتوجد بالمكتبة السمعية حوالي ١٥٢شريطًا بين شريط منهجي خاص بالمناهج الدراسية وأشرطة أخرى معظمها دينية خاصة بالقرآن الكريم تفسير وتلاوة.

وتوجد بالمكتبة أيضًا أشرطة مدتها اثنتي عشرة ساعة وجهاز كارتردج، وهذه الأشرطة مهداة من المملكة العربية السعودية.

أما بالنسبة لمرحلتي الحضانة والابتدائي بوجه خاص فتوجد أشرطة للقصص والأناشيد وأغاني الأطفال، وتلجأ الطالبات إلى المكتبة مع بعض مدرسي المواد لمراجعة الدروس على الأشرطة، وتعدّ هذه من أهم خدمات المكتبة التي تقدم للطالبات.

وتوجد بالمكتبة ثلاث أمينات واحدة مبصرة والأخريان كفيفتان والثلاث من خريجات كلية الآداب بالإسكندرية وبالنسبة للأمينتين الكفيفتين فهما أصلاً طالبات مدرسة النور. وتصدر المدرسة مجلة النور وهي مطبوعة بطريقة برايل، وتحتوي على مجموعة من المقالات والأخبار والأحداث الواردة في الجرائد والمجلات وتهم قطاع الطالبات وتصدر شهرية. هذا بالإضافة إلى مركز للطباعة الحديثة وهو هدية من نادي الروتاري بشرق الإسكندرية، وهذا المركز يحتوي على وحدة حاسب آلي ملحق بها طابعة برايل تقوم بتحويل النصوص إلى نصوص بطريقة برايل.

وتقوم المكتبة بخدمة أحد عشر فصلاً، وهي تنقسم إلى خمسة فصول ابتدائية وثلاثة فصول إعدادية ثم ثلاثة أخرى ثانوية. والعدد الإجمالي للطالبات بالمدرسة مئة وثلاثون طالبة ويتراوح عدد الطالبات في الفصل مابين اثنتا عشرة إلى خمس عشرة فتاة.

ب - مدرسة النور للبنين :

توجد مدرسة النور للبنين بحي زيزينيا بشرق الإسكندرية، وهي تضم ثلاث مراحل من الابتدائى إلى الثانوي.

وتوجد بالمدرسة قاعتان للمكتبة الأولى قاعة مكتبة للكتب والأخرى مكتبة سمعية. ومعظم الكتب بالمكتبة الأولى أدبية لطه حسين هذا إلى جانب مجموعة من الكتب الدينية، وبالنسبة للأثاث والأشرطة الموجودة بالمكتبة فهي مهداة من نادي الروتاري. وتضم المكتبة الأولى (١٥٠٠) كتاب أما المكتبة السمعية فتضم ٢٠٠ شريط من مختلف التسجيلات ومن أهم نواحي القصور بالمكتبة وقد لاحظتها الباحثة وتعد عاملاً معوقًا لوصول الخدمة المكتبية للطلبة. وهو عدم وجود ماكينة لطبع أو نسخ الشرائط وذلك لنسخ المقررات والمناهج الدراسية للطلبة.

وتقدم المكتبة خدماتها لسبعة عشر فصلاً تضم مئتين وستة طلاب وبمقارنة الخدمات التي تؤدى في كل من مدرستي البنات والبنين يمكن للباحثة أن تورد الملاحظات التالية:

* تتوافر بمدرسة البنات مكتبة مناسبة تستجيب ولو للحد الأدنى من متطلبات الخدمة المكتبية فعلى الرغم من أن مجموعات مكتبة البنين هي ١٥٠٠كتاب، ٢٠٠شريط ومكتبة البنات ١٣٠٠كتاب، ١٥٢شريطًا إلا أن الخدمة المكتبية واضحة بمكتبة البنات، حيث توجد مكتبة خاصة هي المكتبة السمعية كما يتوافر بمكتبة البنات أجهزة حديثة (مهداة من المركز الإقليمي بالرياض بالمملكة العربية السعودية، تنتج وتسجل الأشرطة لمدة ١٢ ساعة) كما يتوافر بهذه المكتبة أيضًا فهارس تستعين بها أمينة المكتبة المبصرة في خدمة الطالبات وبالمقارنة فلا - يمكن تسمية مكتبة البنين - بأنها مكتبة، حيث لايتوافر بها الحد الأدنى من الخدمة فهناك قصور في الأجهزة وقصور في الفهارس، وقبل ذلك لايوجد مبنى أو حجرة ملائمة تستوعب عدد الطلاب المتزايد.

* لاحظت الباحثة أنه يوجد بمدرسة البنات «مركز الطباعة الحديثة» وهو هدية من نادي الروتاري بشرق الإسكندرية، وقد تم إهداء وحدة الطباعة مع الحاسب الآلي سنة ١٩٩٠ ويقوم الحاسب الآلي بعد كتابة مجموعة من القصص وبعض الكتب بتحويلها إلى نصوص برايل عن طريق برنامج MB Multi-Braille وعن طريق الـ Braille Printer يتم طبع هذه النصوص بطريقة برايل .

أما في مدرسة النور للبنين فيعتمد على الجهد الذاتي لأمينة المكتبة، حيث تقوم بطباعة الأسئلة والأجوبة وبعض المعلومات المهمة كخدمة منهج بطريقة برايل ولكن لاتوجد أية تيسيرات مماثلة كما هو الحال بمكتبة البنات.

٢ - الخدمات على المستوى الجامعي

افتتح مركز الرعاية الاجتماعية والثقافية للمكفوفين The Cultural Social Rehabilitation Center for the Blind (..) في الحادي والعشرين من شهر أغسطس عام ١٩٧٦ ومنذ ذلك الحين وهو يقدم خدماته لجميع الطلاب المكفوفين بكليات جامعة الإسكندرية والوافدين من الأقطار الشقيقة، وذلك بكليات الآداب والحقوق والتجارة ، ولاتقتصر خدمات المركز على طلاب الليسانس فقط بل يتعداها إلى طلاب الدراسات العليا وحتى نيل درجة الماجستير والدكتوراه .

وجدير بالذكر أن مجهودات هذا المركز قد أفرزت سبعة طلاب من حملة الدكتوراه في شتى مجالات العلوم الإنسانية بكليتي الآداب والحقوق وعن عدد اثني عشر طالبًا من حملة الماجستير في الكليات نفسها .

ويعدّ هذا المركز هو المركز الوحيد في جمهورية مصر العربية بل والشرق الأوسط، ويقدم هذا المركز خدماته للطلاب المكفوفين الذين بلغ عددهم ما يقرب من مئة وثلاثين طالبًا وطالبة، وفي الجانب الثقافي الذي يهمني في هذه الدراسة يقوم المركز بتقديم الخدمات التالية :

* توفير القارئ المثقف لمرافقة المكفوف طوال مدة الدراسة بالكلية مقابل مكافأة مالية شهرية للقارئ .
* توفير جهاز تسجيل محاضرات يوزع على طلاب السنوات الأولى مجانًا .
* هذا بالإضافة إلى وجود المكتبات داخل المركز المزودة بالمراجع والكتب الدراسية، وذلك لنقلها وطبعها على شرائط كاسيت كما تتضمن النشاطات الثقافية مايلي:
* صدور مجلة ربع سنوية يقوم الطلاب بإعدادها وهي متنوعة الأبواب والمقالات .
* إقامة الندوات والمحاضرات العلمية، وذلك عن طريق استضافة بعض العلماء لإلقاء المحاضرات ومناقشة الطلاب .

هذا؛ ويضم مركز المكفوفين المكتبات التالية :

أ - المكتبة المقروءة :

وبها مجموعة متنوعة من الكتب في مختلف العلوم تفيد الطالب سواء بالاستعارة الداخلية أو الخارجية.

ب - المكتبة المسموعة:

وبها عدة أجهزة مختلفة نذكر منها :

* أجهزة معدة للاستماع يستخدمها الطالب بواسطة (الهيدفون) حتى يعطي الفرصة لعدد كبير من الطلبة للاستماع في وقت واحد.
* جهاز تكبير الكلمات لضعاف البصر، ويعد هذا الجهاز من أحدث الأجهزة الخاصة بضعاف الإبصار في الشرق الأوسط بل والعالم .
* أجهزة طبع ومسح شرائط الكاسيت، وتقوم هذه الأجهزة بطبع ومسح شرائط الكاسيت الخاصة بالطلبة .
* الإستوديو: كما أن المركز مزود بإستوديو مجهز ومعد لتسجيل شرائط المواد العلمية .

وجدير بالذكر أن ميزانية المركز تعتمد أساسًا على التبرعات المادية والعينية التي تقدم من فاعلي الخير، حيث يقوم نادي لايونز بالإسكندرية بالتبرع فيّ الإسهام بإعادة بناء وتطوير مبنى مركز رعاية المكفوفين ومقره كلية الآداب، حيث يحتوي الدور الأول على المكتبة السمعية والمكتبة المقروءة وحجرات التحصيل الدراسي والمذاكرة، وكذا إستوديو مجهز بأحدث الوسائل السمعية الإلكترونية التي تساعد الطالب الكفيف على التحصيل العلمي .

كما يقوم على إدارة المركز كل من :

عميد كلية الآداب - مديرة المركز - مسئول الخدمة العامة - أمين مكتبة مقروءة - أمين المكتبة السمعية - محاسب مالي - مسئول النشاطات الطلابية - سكرتارية المركز - مسئول العلاقات العامة - أمين العهدة .

ويمكن للباحثة أن تورد فيما يلي بعض ملاحظاتها على مشروع مركز الرعاية الاجتماعية والثقافية للمكفوفين وضعاف البصر من ناحية خدمات المعلومات والمكتبات.

أ - إذا كان الدور الأول يحتوي إلى جانب المكتبتين السمعية والمقروءة إستوديو مجهزًا بأحدث الوسائل السمعية والإلكترونية فلابد أن يكون من بين موظفي المكتبة اختصاصيون في تكنولوجيا المعلومات بما في ذلك تطبيقات الحاسب الآلي وتطبيقات أساليب الاتصال وعرض المعلومات، التي أشارت لها الباحثة في مواضع مختلفة.

ب - أن لايكون هذا المركز في معزل عن النشاطات العلمية التي تتم في كليات الآداب والتجارة والحقوق خاصة بالنسبة للمحاضرات العامة التي تتم في هذه الكليات.

ويمكن للباحثة أن توصي بمايلي:

- يجب أن يكون من بين موظفي مكتبات المكفوفين وضعاف البصر اختصاصيون في تطبيقات تكنولوجيا المعلومات الخاصة بهذه الفئة، وهو الدور الذي يجب أن تضطلع به أقسام المكتبات والمعلومات في مصر وتخصيص مقررات خاصة بالخدمة المكتبية للمكفوفين وضعاف البصر إلى جانب مقررات أخرى في تطبيقات الحاسب الآلي وتكنولوجيا الاتصالات حتى يمكن أن تخرج جيلاً جديداً على معرفة وخبرة بأهمية الخدمة المكتبية لهذه الفئة من فئات المجتمع إلى جانب تنظيم دورات وبرامج تدريبية للاختصاصيين الحاليين غير المؤهلين.
- أن تمتد خدمات المكتبات بأنواعها المختلفة - بالذات المكتبات العامة - لتشمل المكفوفين وضعاف البصر وذلك لأهمية الدور الذي يمكن أن تؤديه المكتبات ومراكز المعلومات في خدمة أفراد تلك الجماعات.
- مراعاة تصميم مباني المكتبات الجديدة بما يسهل استخدامها من لدن المعاقين وتزويدها بالأثاث المناسب إلى جانب تخصيص ميزانية كافية لإعادة تطوير مباني المكتبات الحالية لجعلها ملائمة لاستخدامات المعاقين.
- على المؤسسات والمنظمات المعنية توجيه اهتمام الباحثين من المكتبيين متخصصي المعلومات إلى إجراء الدراسات المتعلقة باحتياجات المكفوفين وضعاف البصر في مجال المعلومات وتطبيقاتها التكنولوجية، وذلك عن طريق عقد الندوات والمؤتمرات المتخصصة في هذا المجال.
- الاهتمام بإعداد المصادر المرجعية المختلفة كالقواميس والموسوعات وكتب الحقائق والببليوجرافيات المطبوعة بطريقة برايل من أجل القراء المكفوفين وضعاف البصر.
- الاهتمام بالطفل الكفيف وتوفير المواد القرائية التي تناسب ميوله واستعداده إلى جانب توافقها مع العمر العقلي والزمني للطفل، وتوفير المجلات الخاصة به مع أعطاء المظهر المادي لمطبوعات المكفوفين مزيداً من الاهتمام والعناية.
- يجب أن يكون هناك تعاون وتنسيق بين مدرستي النور للبنين والبنات بمدينة الإسكندرية خاصة بالنسبة لتبادل الأشرطة والخدمات المختلفة، وذلك لأن المكتبتان تخدمان هدفًا واحدًا يتعلق بالمقررات والمناهج في المراحل الدراسية المختلفة.
- لابد من أن تولي وزارة التربية والتعليم رعاية خاصة لهذه المدارس لاسيما مع التغيرات التي تحدثها الوزارة في المناهج والسلم التعليمي، فقد لاحظت الباحثة ارتباكًا واضحًا لدى المكتبتين للاستجابة لمتطلبات وزارة التربية عند تطبيق النظام الجديد للثانوية العامة.
- نظرًا للتطورات الهائلة المتلاحقة في تطبيقات تكنولوجيا المعلومات في مجال خدمة المكفوفين وضعاف البصر يجب أن يأخذ المسئولون عن إنشاء مركز الرعاية الاجتماعية والثقافية للمكفوفين بجامعة الإسكندرية هذه التطورات في حسبانهم من البداية مع إمكان التعاون في ذلك مع الهيئات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الدولية والمحلية للدعم المادي والفني.

- يجب توافر مركزين للإنتاج يختصان بمواد المكفوفين وضعاف البصر أحدهما يكون تابعًا لوزارة التربية ويستجيب للمناهج والمقررات في مراحل التعليم المختلفة، أما المركز الثاني فيكون تابعًا لجامعة الإسكندرية ومقره في مركز الرعاية الاجتماعية والثقافية للمكفوفين، بحيث يتابع المركزان المستحدثات العلمية والتكنولوجية وتقديمها للمكفوفين وضعاف البصر وأقصد بهذه المستحدثات كل من التجهيزات التكنولوجية في مجالي المعلومات والاتصال، كما أقصد بالمستحدثات متابعة الإنتاج الفكري العلمي في مجالات الآداب والتجارة والحقوق وسرعة تطويعه وإنتاجه حتى يمكن أن يفيد منه المكفوفون وضعاف البصر.

خامسًا - تحويل الأوعية المطبوعة إلى مسموعة: اتجاه عالمي لخدمة المكفوفين وضعاف البصر.

على الرغم من أن الكتاب المطبوع مازال يحتل الصدارة بالنسبة للمكتبات العامة على وجه التحديد فهناك وعي متزايد بأهمية الأوعية الإلكترونية في زيادة المعرفة وتنوع مصادرها والالتقاء مع الفكر العالمي. وعلى الرغم من أن التلفزيون قد أصبح في وقتنا المعاصر أهم هذه الأوعية وهو الذي جعل من العالم قرية كونية، فلا يمكن أن نقلل من أهمية الراديو وقدرته على الوصول إلى جمهور أوسع من جمهور التلفزيون، ومن هنا فقد جاءت فكرة التلاحم والرابطة الطبيعية بين مكتبات المكفوفين وخدمات القراءة التي تقدم لهم بواسطة الراديو (Mcmillan, Lindsay, 1987).

١- المكتبة الناطقة: دراسة حالة للمكتبة العامة في ناشفيل بأمريكا (Burns, L., 1980)

أ- الإنشاء :

أنشئت هذه الخدمة المكتبية الخاصة للمكفوفين والمعاقين بدنيًا، نظرًا لتأخر إنتاج وتوزيع المواد القرائية بطريقة برايل Braille أو بالأشرطة المسجلة أو بتسجيلات الكتب الناطقة، وذلك لأنه مع خروج هذه المواد القرائية لروادها يكون محتواها متقادمًا، على الرغم من حاجة المستفيدين منها إلى المعلومات الجارية المتاحة في الصحف والمجلات وغيرها. وتبدأ المكتبة الناطقة Talking Library إرسالها على الهواء مباشرة في السادسة صباحًا، مع تقديم برنامج مختلف في كل يوم من أيام الأسبوع، ويقوم متطوعون بإعداد هذه البرامج، وفي السابعة صباحًا يقوم فريق آخر من المتطوعين بالحضور إلى الإستوديو وقراءة الصحف الصادرة في ذلك اليوم، وتستمر هذه القراءة لمدة ساعتين مع التنويع في اختيار المواد من عناوين الصفحة الأولى إلى مقال التحرير إلى أخبار المدينة إلى حظك هذا اليوم إلى الوفيات والرياضة وغيرها.

أما في التاسعة صباحًا فتبدأ برامج أخرى كسلة المشتروات The Shopping Basket ثم الإعلانات اللازمة لخدمة ذلك، وبعدها الكتب الرائجة Best Sellers والمواد القرائية الحديثة ، وهي تقدم للمستمعين من جميع الأعمار.

ب - التشغيل :

تقوم المكتبة العامة في ناشفيل بتشغيل محطة الراديو (WPLN) وهي تذيع على موجات FM الموسيقا الكلاسيكية والبرامج المعلوماتية والإخبارية.

وكل محطة FM لها القدرة على تشغيل قناتين فرعيتين Sub - Carrier بالإضافة إلى القناة الرئيسة، وتعمل المكتبة الناطقة WPLN على واحدة من القنوات الفرعية، حيث يزود ضعاف البصر أو المعاقون بمستقبل Receiver بالمجان، وهذا المستقبل مخصص لاستقبال إذاعات المكتبة الناطقة فقط، أي إن المكتبة الناطقة لاتسمع بواسطة الجمهور العام على أجهزة الراديو العادية، وهذا الإجراء يعطي للمكتبة حق الحماية Copyright لاستنساخ المواد القرائية، كما تتاح الإعارة لمواطني ناشفيل ممن تنطبق عليهم صفات ضعاف البصر أو المكفوفين، كما وصل عدد أجهزة الاستقبال التي وزعتها المكتبة العامة بالمجان للمكفوفين إلى أكثر من (١٥٠٠) جهاز في عام ١٩٨٠، وقد كان لنجاح هذه المحطة الإذاعية أثره في تقليدها والتقاطها بواسطة قنوات فرعية أخرى

(WMOT)، وفي عام ١٩٩٠ كان هناك أكثر من (١٥٠) خدمة إذاعية قرائية تقدم آلاف الساعات من البرامج، ولم تعد هذه البرامج تقدم للذين لديهم أجهزة استقبال خاصة؛ بل أصبحت تقدم عن طريق الأقمار الاصطناعية والراديو الكابلي وحتى من خلال القنوات السمعية للتلفزيون الكابلي كذلك (Massis, B., 1995, p.3).

جـ - التقييم :

هناك برنامج مستمر للتقييم والتحقق من أهداف الخدمة ودرجة فاعليتها، وكقاعدة عامة يتم إجراء مقابلات مع المستمعين للتعرف إلى البرامج المفضلة ومدى استخدام خدمات المكتبة الناطقة، وتتم هذه المقابلات بالتلفون في معظمها، ثم تسجل وتعد لها الجداول والنتائج التي تفيد في تحسين الخدمة، هذا فضلاً عن وجود اللجنة الاستشارية لبرامج المستفيدين والتي تتكون من تسعة أعضاء من الذين يستخدمون المكتبة الناطقة، ويجتمع هؤلاء كل ثلاثة أشهر لإحاطة القائمين على أمر هذه الإذاعة ببعض الملاحظات والاقتراحات اللازمة لتحسين الأداء.

د- المتطوعون وموظفو المكتبة الناطقة :

يقوم المتطوعون بتسجيل معظم المواد القرائية المذاعة، وقد وصل عدد هؤلاء المتطوعين إلى (٥٧٠) متطوعًا، ويتم التسجيل في منازلهم بواسطة أجهزة تقدم للمتطوعين بالمجان إذا أرادوا، كما يمكن التسجيل في إستوديوهات المكتبة الناطقة نفسها، وينتج المتطوعون حوالي ستة آلاف ساعة من المواد كل سنة. وإلى جانب المتطوعين، هناك موظفون دائمون بالمكتبة منهم المدير ومساعده ومدير البرامج والمنسق مع المتطوعين ومساعده، والمهندس، والسكرتارية ، والاستقبال.

٢- بث المعلومات للمكفوفين وضعاف البصر في الدول المختلفة:

نتيجة للاجتماعين اللذين قامت بهما إفلا (IFLA) في كل من طوكيو Tokyo باليابان عام ١٩٩١، وفي دهرا دون Dehra Dun بالهند عام ١٩٩٢زاد الاهتمام وأنشئت الخدمات لبث المعلومات المطبوعة للمكفوفين وضعاف البصر عن طريق الراديو .

ففي أوزاكا باليابان Osaka يقدم الراديو الياباني (JBS) خدمة قرائية إذاعية عن طريق الأقمار الاصطناعية، التي تصل إلى جميع أنحاء اليابان، ثم أنشئت خدمة إذاعية مرتبطة في طوكيو، حيث يتم سماع هذه الخدمة في أي مكان باليابان عن طريق الراديو الكابلي أساسًا، هذا وتقوم خدمة الإذاعة اليابانية (JBS) بترجمة مواد عالمية وبالذات المنتجة بالولايات المتحدة (Touch Net works, Inc., U.S.) إلى اللغة اليابانية وإذاعتها أسبوعياً، وسيصبح هذا التبادل الإذاعي شيئًا عادياً في المستقبل .

وفي أندونيسيا يقوم الراديو الوطنّي حاليًا بتقديم عدة ساعات كل يوم من القراءة في الراديو لتصل إلى جميع أنحاء البلاد، وتتجه الخطة الأندونيسية إلى زيادة عدد الساعات الإذاعية كلما سمحت الميزانية بذلك.

وفي إستانبول - تركيا تقوم محطات الراديو المتعددة بالتعاون مع هيئات خدمة المكفوفين بتقديم خدمة قرائية إذاعية.

أما في المملكة المتحدة فهناك أكثر من (٢٤٠) جريدة ناطقة يتم قراءتها على أشرطة الكاسيت المسموعة كما يتم نشرها محليّاً بين المكفوفين على أساس أسبوعي، وتحل هذه الخدمات حاليّاً محل القراءة الإذاعية، ولكن هناك خطة استخدام الإذاعة لاستكمال هذا النشاط.

وفي السويد هناك صحف يومية تصدرها هيئات المكفوفين، ثم يتم تحويلها على الخطوط التلفونية بواسطة مئات المستفيدين في منازلهم.

وفي ملبورن بأستراليا هناك خدمة قرائية إذاعية تقدم لمدة ٢٤ ساعة يوميًا بتجهيزات حديثة، وقد استطاعت هذه المنظمة المسئولة عن هذه الخدمة الحصول على حق النشر Copyright للقراء على قناة مفتوحة. وبالتالي تصل هذه الخدمة إلى حوالي ثلاثة ملايين مستمع. وهناك بلاد عديدة تقوم حاليّاً بإنشاء هذه الخدمات تمهيداً لتعاون دولي أوسع .

(Massis, Bruce, E., 1995, p. 14-18).

سادسًا - اتجاهات عالمية من مؤتمر إفلا (IFLA) بإستانبول .

لمحة تاريخية :

أصدرت مكتبة الكونجرس عام ١٩٩٥ سجلاً مصورًا بتطور خدمات المكتبات للمكفوفين وضعاف البصر، ويمكن للباحثة أن تورد فيما يلي مقتطفات لبعض مانشر في هذا السجل .

(Library of Congress, 1995).

308 A.D

يمثل هذا التاريخ ميلاد ديدموس Didymus الرئيس الكفيف لمدرسة كاتيك Catechetical في الإسكندرية، حيث قام بنحت الحروف الهجائية على الخشب، وتعلم تكوين الكلمات وصياغة الجمل (مصر) .

973

هذا هو تاريخ ميلاد أبو العلاء المعري الذي ولد في سوريا، وفقد بصره في الرابعة من عمره ولكنه كان يتذكر محتويات ثلاث مكتبات كبيرة في حلب وطرابلس (سوريا).

1812

تاريخ إصابة لويس برايل بفقد بصره في حادثة.

1830

قام لويس برايل بنشر كود برايل Braille Code.

1953

تم إنشاء مركز تأهيل المكفوفين في القاهرة، واشتمل هذا المركز على مطابع برايل وعلى إستوديو تسجيل (مصر).

1977

قام الاتحاد الدولي لجمعيات المكتبات والمؤسسات (IFLA) بإنشاء الجماعة العاملة لمكتبات المكفوفين، وذلك خلال المؤتمر الذي عقد في بروكسل (بلجيكا).

1983

أصبحت هذه الجماعة العاملة قسم مكتبات المكفوفين (هولندا).

1984

صدر في هذا العام نفسه المعايير المراجعة والقواعد الإرشادية لشبكة المكتبات التابعة لمكتبة الكونجرس والعاملة لخدمة المكفوفين والمعاقين.

كما قام الاتحاد الدولي (IFLA) بإصدار الدليل الدولي للمكتبات وهيئات الإنتاج الخاصة بالمكفوفين، كما شهد هذا العام أيضا حدثًا مهمًا بدخول كلية خدمات المعلومات والمكتبات في كندا بتقديم أشكال المواد البديلة للمكفوفين ولخدمة طلاب الكلية.

1993

كانت مكتبة المعهد القومي الكندي للمكفوفين تحتوي على أكثر من ١٤,٠٠٠ كتاب برايل، ١٨,٠٠٠ أسطوانة موسيقية على برايل في مجموعاتها.

أما مكتبة الكونجرس فقد أصدرت مجموعة الأقراص المكتنزة للفهرس القومي الموحد، وذلك لخدمة المكفوفين والمعاقين بدنيًا وفي هذا العام صدرت موسوعة أكسفورد للأطفال وهي أول موسوعة في المملكة المتحدة صدرت بطريقة برايل في عدد (٥٥) مجلداً، أما مكتبة الكونجرس نفسها فهي تحتوي على أكثر من ٦١,٠٠٠ عنوان مسموع بطريقة برايل، وتضم هذه العناوين ١٥,٣٠٠,٠٠٠ نسخة.

وقد تم خلال هذا العام تمرير ٢٢,١٢٠,٠٠٠ مادة على جمهور قارئ يصل إلى ٧٧٢,٠٠٠ ضمن شبكة المكتبات المتعاونة مع مكتبة الكونجرس. كما تم في هذه السنة أيضًا الاستخدام الدولي لخدمة المعلومات على الخط المباشر الذي تقوم به مكتبة الكونجرس .

1994

أنشأ الاتحاد الوطني للمكفوفين الجريدة الناطقة، التي تصل المكفوف بواسطة التلفون. Dial- up synthetic - speech talking newspaper.

ويعدّ هذا الحديث أول جريدة تتاح للمكفوفين عند الساعة السادسة والنصف صباحًا من تاريخ إصدارها.

1995

وصل عدد العناوين التي أصدرتها مكتبة الكونجرس بطريقة برايل إلى ١٠,٠٠٠ عنوان.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

Denmark

بعض نشاطات خدمات المكوفين في الدنمارك

* تضم المكتبة الوطنية الدنماركية للمكفوفين (DBB) في عام ١٩٩٥ حوالي ١٤٠ موظفًا، كما وصل مجموع إعارات الكتب والمجلات وأشرطة الموسيقا على طريقة برايل حوالي مليون مادة، أما عدد المسجلين من المستعيرين فقد وصل إلى ١٢,٠٠٠ مستعير، وتضم مجموعة المكتبة ١٠,٠٠٠ كتاب ناطق، ١٠,٠٠٠ كتاب بطريقة برايل. كما يضم الإنتاج الجديد ٦,٦٠٠ شريط ماستر، ٩٤,٠٠٠ صفحة برايل ماستر؛ وأخيرًا فقد وصل عدد النسخ التي أعدتها المكتبة حوالي ٥٠٠,٠٠٠ شريط كاسيت، وحوالي ٥,٥ مليون صفحة مطبوعة على طريقة برايل.

(The Danish National Library,1994, p.11)

* اشتملت أوراق البحوث المقدمة لاجتماع الخبراء قبل مؤتمر إفلا (IFLA) عام ١٩٩٥ عدة أوراق من بينها:

- كيفية إنشاء خدمات المكتبات للمكفوفين والمعاقين (Vitzansky, W., 1995) ركز الباحث على موضوع المشاركة في الموارد وعلى الإعارة وعلى الأشكال المشتركة للمواد المعدة بطريقة برايل وعلى الفهارس وعلى التنسيق في عمليات الإنتاج وعلى حفظ حق المؤلف Copyright في البلاد المختلفة وأخيرًا على الاستعارة الدولية.

- أما الورقة الثانية فكانت عن إنتاج المواد المسموعة مع بيان أشكالها الخاصة (Seidelin, Susanne, 1995) وقد أعدت الكاتبة هذه الورقة البحثية كدليل لأولئك الذين يريدون إقامة وحدة إنتاج للمواد المسموعة المتناظرة analoge audio - materials واهتمت بصفة خاصة بخطوات الإنتاج بما في ذلك إعداد النص المطبوع وسرد القصص وموضوع مسودات القراءة وكيفية التسجيل وإعداد الإستوديو، ثم عمليات النسخ والتحقق من نوعية المنتجات.

Japan

الوصول المباشر للمعلومات بواسطة الحاسبات الآلية

هذه إحدى أوراق البحوث المهمة التي عكست الوجود الواضح للتجربة اليابانية في هذا المجال وتحديدًا إذا أخذنا في الحسبان ما قامت به الشركات اليابانية بغرض آخر المستحدثات التكنولوجية في المعرض الملحق بالمؤتمر. وقد ركزت هذه الورقة على استخدامات الحاسبات الآلية في الإتاحة الفورية للمعلومات للمكفوفين وضعاف البصر، حيث تستطيع شبكات الحاسبات، ربط هؤلاء والمشاركة في المعلومات بينهم، وقد ركز الكاتب على ما أسماه بالرؤية الاصطناعية Artificial vision بوصفها الطريقة المثلى للانتصار على عدم الإبصار دون ترك أو هجرة الإنسانية. وقد أوضح الكاتب أن هناك مشكلات مازالت تنتظر الحل لتحقيق النظام الأمثل للجميع بالذات باستخدام التكنولوجيا الرقمية لكونها إحدى الظواهر المهمة في التطوير الإلكتروني. ويعدّ كود برايل Braille code أول كود رقمي يصنعه الإنسان بالمعنى الحديث. كما أوردت هذه الورقة الوضع الحالي في اليابان، التي يصل عدد سكانها إلى ١٢٠ مليون نسمة أما عدد المسجلين من المكفوفين وضعاف البصر فقد وصل إلى ٣٧٠,٠٠٠ نسمة. وأخيرًا فقد قدم الكاتب بعض المقترحات عن كيفية تطويع الخدمات المكتبية للمكفوفين وضعاف البصر (Kurihara, Tooru. 1995).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

Saudi Arabia

تمت بالمملكة العربية السعودية نشاطات عديدة بالنسبة لخدمة المكفوفين وضعاف البصر، وتورد الباحثة في البداية بعض الإنتاج الفكري عن المكتب الإقليمي بالرياض ثم يتبع ذلك الخدمات التي تقدمها وزارة التربية، وهي التي جاءت ضمن أعمال اجتماع إفلا (IFAL) في إستانبول ١٩٩٥.

وإذا كان القرآن الكريم هو أول كتاب يظهر باللغة العربية فقد جاء فيه ﴿فإنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ سورة الحج آية ٤٦.

إنها دعوة من الله إلى المكفوفين أن يعلموا أن هذا اختبار منه سبحانه وتعالى، وأن كفيف البصر ليس عيبًا بل العيب هو في عمى القلوب لا عمى الأبصار.

ومع ذلك فلا ينبغي أن نهمل قطاعًا مهمًا من قطاعات المجتمع، فالكتاب هو عين الكفيف يرى به الدنيا ويتحسس طريقه بنور كلماته خلال السطور وبين صفحاته، ومن أجل هذا كانت العناية لتقديم هذه الكتب بمختلف الطرق والوسائل العلمية الحديثة.

ومن بين النشاطات التي تعدّ دعوة لإضاءة الشموع وسط الظلام، واستطاعت الباحثة أن تستقرئها من الإنتاج الفكري الخاص بالمملكة العربية السعودية مايلي:

إن وجود مقر المكتب الإقليمي للجنة الشرق الأوسط لشئون المكفوفين في الرياض بالمملكة كان نصرًا كبيرًا لخدمة المكفوفين، وتلقى برامجه وخططه كل الدعم من المملكة، ومن خطط المكتب الإقليمي تقديم المطبوعات النقطية بشكل مكثف وبنوعية ممتازة للمكفوفين وبرنامج المكتب لتنفيذ ذلك ينص على :

١ – طباعة المناهج الدراسية لدولة البحرين وتقديمها إلى «معهد النور في الخليج العربي» وتأخذ (١٥,٠٠٠) صفحة من التسجيلات النقطية، وطباعة المناهج الدراسية لدولة اليمن وتأخذ (١٥,٠٠٠) صفحة.

٢ – إصدار مجلة شهرية بعنوان «الفجر» عدد صفحاتها ٦٠ بمعدل ٦٥٠ نسخة.

٣ – نسخ القرآن الكريم بالخط البارز بواقع ١٢٠٠ صفحة.

٤ – إعداد مطبوعات ثقافية وعلمية للكفيف تأخذ ١٠٠,٠٠٠ صفحة سنويًا.

(فؤاد فرسوني، ١٩٨٥، ص٥٣).

عمليات الإنتاج للتسجيلات النقطية عن طريق الحاسبة الإلكترونية في مقر المكتب الإقليمي للجنة الشرق الأوسط لشئون المكفوفين بالرياض :

لقد تم تركيب الحاسبات الإلكترونية في مقر المكتب الإقليمي بالرياض بهدف خدمة المكفوفين في البلاد العربية. وقد بدأت عمليات إنتاج التسجيلات النقطية مع أول المحرم عام ١٤٠٣هـ. وقد أنتج منذ ذلك التاريخ ما يزيد على ١٢٠مطبوعًا دراسيًا وعلميًا، بالإضافة لمجلة الفجر الشهرية وبحوث بلغ عدد صفحاتها ٢٠,٠٠٠ صفحة، وهذا مؤشر لفعالية استخدام التحسيب في إنتاج التسجيلات النقطية. وتتم عمليات الإنتاج المحسبة للتسجيلات النقطية على النحو التالي :

١ – اختيار الكتب ومراجعتها والنظر في ملاء متها لاستخدام المكفوفين وحاجاتهم .

٢ – إدخال الكتب في الحاسبة على هيئة ملفات يحتوى كل منها على ألف سطر .

٣ – طباعة النص على ورق مقوى حسب طريقة «برايل» .

٤ – تدقيق المخرجات ومقابلتها على النص.

٥ – إجراء التعديل والتصحيح بعد الانتهاء من التدقيق.

٦ – طباعة النص ثانية على ورق مقوى حسب طريقة برايل والتأكد من صحة التعديل.

٧ – نسخ الكتب على صفائح الزنك بواسطة الآلة الطابعة على الزنك، ومن هنا؛ فإن الإنتاج المحسب للتسجيلات النقطية سيؤدي دورًا رائدًا في إثراء مقتنيات المكتبة النقطية العربية، وتلبية حاجات الكفيف العربي لأوعية المعلومات النقطية سواء كانت منفردات أو مطبوعات دورية (فؤاد فرسوني، ١٩٨٥، ص٥٤–٥٥).

هذا؛ ويذهب فرسوني إلى أنه يمكن لمعهد الإدارة العامة بالرياض أن يقوم ببرامج لخدمة المكتبة النقطية كما يلي :

أن تتعاون إدارة البرامج الخاصة والإدارة العامة للمكتبات في المعهد مع الاتصال بالمكتب الإقليمي للجنة الشرق الأوسط لشئون المكفوفين في الرياض لعقد دورات تدريبية للأمناء والموظفين المشتغلين أو الذين يخططون للاشتغال في خدمات المعلومات للمكفوفين، ويقترح أن يضم البرنامج التدريبي لهؤلاء مواد دراسية مثل:

– فهرسة وتصنيف التسجيلات النقطية، بالإضافة لفهرسة وتصنيف المواد السمعية التي يمكن للكفيف أن يستخدمها.

– الخدمات المتصلة بحاجات المكفوفين بما في ذلك الخدمات المرجعية وخدمات الإعارة.

- عمليات تنمية مجموعة المكتبة النقطية وتنظيمها بحيث تلائم الكفيف.
- هناك معدات معينة وإمكانات التدريب على استخدامها مثل عداد «كرانجر»، آلة برايل الطابعة، حاسبة «بوما» المستخدمة في نسخ الخط البارز ... فيجب أن يأخذ البرنامج التدريبي كل هذه المعدات والتدريب عليها في الحسبان .
- أثاث وتجهيزات المكتبة النقطية المادية (فؤاد فرسوني، ١٩٨٥، ٦٢-٦٣).

أما بالنسبة لجهود وزارة التربية (***) فقد أصدرت الوزارة كتابًا عدّته دعوة للدول والهيئات، التي لديها برامج منظمة لخدمة قطاع المعاقين بما فيهم المكفوفين وضعاف البصر، إلى مواصلة جهودهم ونجاحاتهم لخدمة هذا القطاع والإفادة من تجارب الدول الأخرى، وحث القطاع الخاص إلى المشاركة في رفع مستوى هؤلاء المعاقين وتغيير الأفكار الخاطئة والشائعة عنهم، وبالتالي إعدادهم لخدمة أنفسهم وأسرهم والمشاركة في تطوير بلدهم. وتفخر المملكة العربية السعودية بأن المكفوفين قد شاركوا في الدوائر الدراسية المشهورة لعلماء المسلمين، كما أكدت السياسة التعليمية منذ عام ١٩٧٠ على حقوق جميع المعاقين في التعليم وفي الرعاية.

وتلاحظ الباحثة شمول هذه الدراسة السعودية على تحديث التجهيزات المستخدمة لنجاح البرامج التعليمية خاصة بالنسبة لمعاهد النور للمكفوفين، وقد شملت هذه التجهيزات الآلات الكاتبة بطريقة برايل، واللوحات الفرنسية المستخدمة في الحساب وصندوق برايل المتطور وحروف برايل العربية المغنطة والتعبير بالرسومات لتعليم الرياضيات وإعداد الأطالس الجغرافية والآلات الحديثة لتعليم العلوم والأجهزة الحرارية اللازمة لإنتاج المطبوعات، حيث تقدم معظم المنتجات إلى المكفوفين بالمجان، كما لاحظت الباحثة الاهتمام بإنشاء:

أ- المكتبة الناطقة المركزية للمكفوفين : والإفادة منها في تعلم القيم الإسلامية فضلاً عن توسيع المدارك الثقافية للمكفوفين والمشاركة في الإذاعات المتصلة بالعمليات التعليمية والثقافية، ويلاحظ أن معاهد النور للمكفوفين متصلة بالمكتبة الناطقة المركزية في الرياض، وهذه المكتبة المركزية تضم ثلاثة أقسام رئيسة هي:

١ - قسم الشئون الفنية، الذي يحتوي على وحدة الفهرسة والتكشيف والاستماع (٥٠) مستمعًا في الوقت نفسه والإعارة لـ (٥,٠٠٠) مستعير بالإضافة إلى وحدة الإنتاج.

٢ - قسم الشئون الثقافية، الذي يحتوي على وحدات التزويد والبحث والمطبوعات والترجمة.

٣ - قسم الشئون الإدارية، الذي يضم وحدة الحسابات والعلاقات العامة والاتصالات ووحدة الصيانة والتشغيل.

وقد بدأت هذه المكتبة عام ١٩٨٩، وقد تم تسجيل (٦٣) كتابًا مدرسيًا للمراحل الإعدادية والثانوية (تضم ٢٢٠ شريطًا/ ٦٠ دقيقة، ٦٨ شريطًا/ ٩٠ دقيقة لكل واحد) وهناك أيضًا (٨٥) كتابًا ثقافيًا وإسلاميًا وقصص أطفال (٦٣ شريطًا/ ٦٠ دقيقة لكل واحد) وقد تم إرسال نسخ من هذه المسجلات لجميع معاهد النور للمكفوفين، وذلك لنسخها مرة أخرى للطلاب الذين يطلبون النسخ.

ب - مركز إنتاج المواد التعليمية للمكفوفين : تم إنشاء هذا المركز بواسطة وزارة التربية عام ١٩٨٦ ملحقًا بمعهد النور للمكفوفين بالرياض، وذلك لإنتاج المواد والأوعية لاسيما تلك التي لا تتوافر في السوق المحلية فضلاً عن إعداد المواد البديلة أو المترجمة للمواد غير المكتوبة بطريقة برايل العربية، وقد قامت الوزارة بتزويد المركز بالتجهيزات الحديثة لإنتاج الكتب بطريقة برايل شاملة للرسومات والبيانات والخرائط فضلاً عن إنتاج الأطلس للمرحلة الإعدادية، وإنتاج نسخ للخرائط الجغرافية بالأبعاد المختلفة، وإنتاج اللوحة المغنطة للمكفوفين والحروف الهجائية العربية المغنطة والرموز الرياضية المغنطة وذلك كله بطريقة برايل، هذا بالإضافة إلى تحسين إنتاج لوحة الهندسة وتحسين صندوق برايل. ويلاحظ اهتمام الوزارة بالتعاون على المستوى الإقليمي مع المكتب العربي للتربية لدول الخليج ... (Kingdom of Saudi Arabia, Ministry of Education 1992).

وفيما يلي مسح إحصائي بالتعليم الخاص بالمكفوفين:

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

نوع المعهد	عدد المعاهد	الفصول	الطلبة	أعضاء هيئة التدريس	الإداريون
معهد النور (البنين)	٧	٨٧	٤٢٦	١٨٩	٤٣
معهد النور (البنات)	٣	٢٩	١٩٩	٧٥	١٧
المجموع	١٠	١٢٦	٦٢٥	٢٦٤	٦٠

Turkey

بعض خدمات المكتبات المتقدمة:

هذا هو التقرير الأساسي للدولة المضيفة لاجتماع (IFLA) لعام ١٩٩٥ حيث قدم أرلن بريل Arlene Brill هذا التقرير، حيث أشار إلى أن بداية مؤسسات المكفوفين في تركيا تعود إلى أوائل الأربعينات. أما اتحاد جمعيات المكفوفين فقد أنشئ عام ١٩٧٦ وهو يحمل الآن عنوان «اتحاد المكفوفين الأتراك» حيث يضم عشرين جمعية، وهذا الاتحاد يعد عضواً في اتحاد المكفوفين العالمي World Blind Union واتحاد المكفوفين الأوربي. وقد أشار التقرير إلى أن العدد الفعلي للمكفوفين غير معروف بدقة وإذا كان عدد سكان تركيا عام ١٩٩١ يصل إلى حوالي ٦٠ مليون نسمة فيقدر عدد المكفوفين وضعاف البصر بحوالي نصف مليون نسمة.(Brill, Arlene, 1995, p. 1-7).

وهناك ورقة بحث أخرى عن طريقة برايل التركية وخدمات المكتبات للمكفوفين، Demirci Emin (1995 وقد أشار الباحث في البداية إلى جهود جامعة الأزهر بالقاهرة في القرن الحادي عشر حيث كانت تقدم برنامج لمدة اثنتي عشرة سنة للمكفوفين لتدريبهم على ترتيل القرآن، ولكن في عام ١٩٢٣ قامت الجمهورية التركية الحديثة وتم افتتاح مدرسة خاصة في أزمير ثم أنشئت في أنقرة مدرسة عام ١٩٥١ بإشراف وزارة التربية، ويصل عدد الطلاب المكفوفين حالياً على المستوى الجامعي بالمئات، أما نظام برايل التركي فقد بدأ عام ١٩٢٥ وتطور بعد ذلك عدة مرات. ويلاحظ أن وزارة التربية الوطنية قد قامت عام ١٩٨٤ بزيادة قدرات مكتبة الطباعة، وذلك بشراء تجهيزات الطباعة بطريقة برايل بواسطة الحاسب الآلي. ويلاحظ أن أكثر برامج إنتاج الكتب بطريقة برايل موجودة بمكتبة جامعة بوغازي Bo-gazici ، حيث لديها عدد ضخم من الكتب المهداة إليها بطريقة برايل من الخارج، كما أنها تشترك في حوالي ٣٠ دورية منشورة بطريقة برايل باللغة الإنجليزية، وبالمكتبة عدة مئات من الكتب الناطقة باللغة التركية كما يوجد جهاز للطباعة والقراءة وأجهزة حاسبات آلية مع التحدث وأجهزة طباعة بطريقة برايل ومسجلات الأشرطة وغيرها.

United Kingdom

تتضمن الأوراق البحثية من المملكة المتحدة ورقتين متميزتين لكل من ألن ليتش Allen Leach وستيفن كنج Stephen King وقد تناول ليتش موضوع إنتاج برايل، حيث أشار إلى تطور كتابة برايل وعمل النسخ وبرامج الترجمة ثم الحروف البارزة Embossers، ثم التعرف الضوئي إلى الحروف optical char-acter recognition، ثم كيفية قراءة المسودات وتصحيحها وإعداد الصيغة المطبوعة لتحويلها إلى طريقة برايل، وأخيراً كيفية تجليد الوثائق للاستخدام الأمثل (Leach Allan, 1995) .

أما الباحث ستيفن كنج وهو مدير المعهد الوطني الملكي للمكفوفين في المملكة المتحدة (RNIB) فقد قدم للمؤتمر ثلاث أوراق بحوث، وذلك كمايلي:

أ - كيفية إنشاء مراكز سمعية منخفضة التكاليف للمكفوفين:

وقد صمم هذه الورقة للأشخاص ذوي الموارد المحدودة جداً، والراغبين في إنشاء مراكز سمعية ذات إمكانية الإتاحة للمواد المطبوعة، وذلك بالنسبة للدول المتقدمة والنامية على حد سواء، وقد صمم النظام المقترح على إقامة تكنولوجيا منخفضة التكاليف، ثم خدمات المتطوعين للقراءة، وهذا ما اتبعه المعهد الوطني لنشر الخدمة، حيث تصل هذه الخدمة عام ١٩٩٥ إلى أكثر من ٢٧,٠٠٠ ساعة من المواد المسجلة سنوياً. (King, Ste-phen & Wendy Davies, 1995)

وقد استخدم هذا النموذج في هافانا كوبا، وذلك بعد اجتماع (IFLA) في سيمنار عام ١٩٩٣.

وقد ركز هذا التقرير على الأماكن البسيطة وعلى الأشخاص، حيث تستخدم التجهيزات الأساسية فقط مع الإفادة من القراء المتطوعين بلا أجر. وقد تضمن ملحق هذه الورقة مجموعة من القواعد القرائية البسيطة لمعاونة القارئ فضلاً عن الإشارة إلى بعض المطبوعات منخفضة التكاليف لإقامة الخدمة.

ب - الكتب الناطقة بالتكنولوجيا الحديثة:

وتعدّ هذه الورقة تقريراً شاملاً عما تم في اجتماع تورنتو في كندا في أبريل ١٩٩٥، حيث تم لقاء العديد من الخبراء في التكنولوجيا الجديدة من اليابان وبريطانيا وأمريكا والسويد وغيرها. (King, Stephen, 1995)

جـ - المواد الرقمية وتقديم خدمات المكتبات للمعوقين :

ركز كنج ستيڤين على أن المعلومات تتجه إلى الشكل الرقمي الذي سيؤدي إلى ثورة في خدمة المكفوفين وضعاف البصر بالنسبة لإتاحة المعلومات لهم.

ذلك لأن المعلومات الرقمية ستحل مشكلة الوصول إلى المواد ذات البناء الخاص في كتب الطهي والنصوص الدينية وأهمية التعاون بالنسبة للمعايير في هذا الاتجاه، وقد ركز كنج على ضرورة أخذ الاعتبارات التالية:

١ - الاحتياجات المتغيرة للمستفيدين .

٢ - التكنولوجيا المتغيرة لعلم المعلومات .

٣ - التغييرات بالنسبة لمصادر المعلومات .

وبالنسبة للتغييرات في التكنولوجيا ركز كنج على أن المواد السمعية والنصية يمكن أن تندمج معًا في الشكل الرقمي، كما أن المعلومات الإلكترونية قد أصبحت نشاطًا تجارياً رئيساً ينشر قواعد المعلومات التجارية كالأقراص المكتنزة الأنترنت وغيرها .

كما أن النشر في الشكل الإلكتروني يفتح أمام الباحث تصميمات النص الكبير Hypertext ذات الأبعاد المتعددة، التي تميز الوثائق. وإذا كان هذا التطور معروفًا إلى حد ما؛ فإن المواد السمعية والراديو والتلفزيون والأفلام، هذه الأوعية المتعددة تسير في الاتجاه نفسه حتى الموسيقا فهي في الواقع في الشكل الرقمي على أسطوانة الكمبيوتر منذ أكثر من خمسة عشر عامًا (King, Stephen, 1995).

سابعًا - *التنسيق الدولي في خدمات المكتبات والمعلومات للمكفوفين وضعاف البصر*

أعلنت سنة ١٩٨١ سنة عالمية للمعاقين لتوفير مزيد من المعلومات لتقديم خدمات أفضل للمكفوفين. كما استحوذت هذه الخدمات على اهتمامات العديد من الهيئات الدولية كالاتحاد الدولي لجمعيات المكتبات (IFLA) والمكتبات الكبيرة مثل مكتبة الكونجرس، وغيرهما. ففي دراسة لفرسوني بلغ عدد المكفوفين بالوطن العربي حوالي مليون فرد كما يشكل عدد المكفوفين آنف الذكر ممن يستفيدون من برامج خدمات التربية الخاصة والمعلومات في الوطن العربي ١٩٪ من مجموع عدد المعاقين المستفيدين من تلك البرامج وتتوزع المؤسسات التي تقدم خدمات التربية والمعلومات للمكفوفين بين جهات متعددة في البلاد العربية مثلاً وزارة التربية والشئون الاجتماعية، والمنظمات والجمعيات المتخصصة والخيرية (فؤاد فرسوني، ١٩٨٥، ص٤٥).

وفي دراسة أخرى ذات نطاق دولي، استعرض الباحث كرام وزميله (Cram, M.D., 1977) السياسات والممارسات الدولية في هذا المجال، وكانت الفلسفة وراء هذه الدراسة هو تمكين الأمين الفرد من الإنجازات والنجاحات التي تمت في هذا المجال في أي مكان آخر، ويحتوى كتاب كرام وزميله على الفصول التالية: أوعية القراءة / المسئولية المالية والإدارية / المركزية واللامركزية / الاختيار: إنتاج المواد وكيفية الحصول عليها / التنظيم / الفهارس المطبوعة والإحاطة الجارية الببليوجرافية / الضبط الببليوجرافي / الأفراد / المواد الدراسية والمهنية / الاستخدام ومختلف أوعية القراءة / التعاون / التكنولوجيا الجديدة / المراجع والببليوجرافيا / ملحق بالهيئات التي ساعدت في هذه الدراسة، وقد وصلت هذه الهيئات إلى ستين هيئة.

أما الاتحاد الدولي لجمعيات المكتبات (قسم مكتبات المكفوفين) فله دور بارز بالنسبة لعقد المؤتمرات ونشر أوراق البحوث، وقد تضمنت بحوث إفلا IFLA لعام ١٩٨٥ موضوعات عديدة كحقوق المؤلف والمواد المكتبية للمكفوفين/ قواعد الجمارك والبريد ومواد المكتبة للمكفوفين / المواد الكبيرة المطبوعة على نطاق تجاري / برنامج مكتبة الكونجرس باللغات الأجنبية / الضبط الببليوجرافي لمواد المكتبة للمكفوفين: التجربة الكندية/النشر...

أما مؤتمر الاتحاد الدولي لعام ١٩٩٥ بإستانبول

ARCHIVE http://archivebeta.Sakhrit.com

بتركيا في الفترة من ١٧-١٩ أغسطس، حيث دعي إليه خبراء من جميع أنحاء العالم بالتعاون مع المكتبة الجامعية Bosphorus University Library.

وأخيرًا؛ فقد اقترح الباحث سيلك (Cylke, F., 1977) رئيس قسم خدمات المكفوفين بمكتبة الكونجرس التنسيق على المستوى الدولي لخدمات المكتبات للمكفوفين والمعاقين بدنيًا... وذلك بأن يقوم الاتحاد الدولي إفلا (IFLA) بتشكيل فريق دولي لدراسة هذا التنسيق فضلاً عن القيام بالمهام التالية:

أ - إعداد سجل دولي بمصادر مكتبات المكفوفين.

ب - الحاجة إلى وضع معايير لأشكال المواد المنتجة حاليًا.

جـ - وضع نظام فعال لآلية الإعارة على المستوى الدولي.

د - الحاجة إلى التطبيق التنسيقي للتكنولوجيا الحالية أو المستقبلية لمتطلبات الإنتاج.

خاتمة

هناك إنتاج محدود للمواد القرائية بطريقة برايل أو بطريقة التسجيل على الأشرطة في العديد من الدول النامية ولكن ليس هناك خدمات مكتبية أو معلومات منظمة، فالقليل من هذه الدول هي التي أنشأت إستوديوهات التسجيل الخاصة بإنتاج الكتب الناطقة Talking Books، ولكن معظم المواد القرائية هذه ممنوحة كهدايا من الدول المتقدمة، وبالتالي فهي لا تحمل خلفية ثقافية أو اجتماعية ذات علاقة وارتباط بالمجتمعات النامية، وستزداد هذه المشكلة حدة مع دخول تكنولوجيا المعلومات بتكاليفها التي لاتتحملها هذه الدول النامية، وبالتالي فالأمل معقود على الهيئات الدولية وعلى التنسيق والتعاون على المستوى الدولي لتهيئة الظروف المناسبة لمشاركة المكفوفين وضعاف البصر في الحياة الإنتاجية والثقافية والفكرية لبلادهم.

مصادر الدراسة

* قدمت هذه الدراسة إلى مؤتمر الخبراء الذي عقد في إستانبول تحت رعاية الاتحاد الدولي لجمعيات المكتبات والمؤسسات (IFLA/ SLB) في صيف ١٩٩٥.

* * تعتمد هذه البيانات على المقابلة التي تمت بين الباحثة ومديرة مركز المكفوفين السيدة / سونيا عبدالوهاب.

* * * قدم تقرير وزارة التربية في مؤتمر إفلا (IFLA) ١٩٩٥ كل من سعيد الغامدي وعبدالرحمن الخلف من المكتبة الناطقة بالوزارة.

أولاً - قائمة المصادر العربية (وتشمل أيضًا المصادر التي قامت الباحثة بتجميعها في المجال):

- أميرة عبد السيد غطاس (١٩٨٤). الخدمة المكتبية للمعوقين/أميرة عبد السيد غطاس؛ إشراف عبدالستار الحلوجي.- القاهرة، ١٩٨٤، أطروحة ماجستير.- جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم المكتبات والوثائق.
- أهمية وجود مكتبة متخصصة للمكفوفين: عرض لبعض مشاكل المكفوفين ولبعض الاقتراحات في هذا المجال ترجمة أشرف الأحمد، رسالة المكتبة (عمان)، مج١٥، ع٤ (ديسمبر ١٩٨٠) ص٤٢-٤٦.
- التزويد المركزي لمادة برايل/ إمكانية وصول الأفراد إلى مواد برايل/ كيف يتسنى للطفل المعوق بصريًا أن يتعامل مع المواد المطبوعة... بحوث وتقارير ووثائق المؤتمر الخامس للجنة الشرق الأوسط لشئون المكفوفين ١٩٨١، ص٨١، ٨٣، ٩٩.
- توفيق عبدالحسن، وأحمد محمد يونس (١٩٧٦)، المكتبة الناطقة والمكتبة النقطية في: وقائع وبحوث المؤتمر المكتبي الثالث. الموصل: جامعة الموصل، ١٩٧٦، ص٧٣-٧٨.
- جمعية المكتبات الأهلية للمكفوفين بالقدس - تقرير عن المكتبة منذ تأسيسها ١٩٦٢ ولغاية ١٩٧٢، القدس: الجمعية، ١٩٧٢، ٢٨ص.
- حسن عبدالشافي. الخدمة المكتبية للمكفوفين - مكتبة الإدارة - س٢، ع١ (١٩٧١) ص٢١-٢٦.
- رايت، كيث. الخدمات المكتبية للمعاقين بصريًا/ كيث رايت، وجود يث دافي، ترجمة حسن مرشد أبوخضرة، رسالة المكتبة، مج١٩، ع٤ (ديسمبر ١٩٨٤) ص١٩-٢٦.
- زكروف، د.س. مكتبات المكفوفين في الاتحاد السوفيتي/ د.س. زكروف، ترجمة كامل محمود شاهين . مجلة اليونسكو للمعلومات والمكتبات والأرشيف، س١٢، ع٤٧ (مايو/يوليو ١٩٨٢) ص٧٧، ٨٥ .

- سابوسنيكوف، أ. أ. خدمات مكتبية للمكفوفين في الاتحاد السوفيتي/أ.أ. سابوسينكوف، ترجمة أمين محمود الشريف. مجلة اليونسكو المكتبات. س١، ع٢ (فبراير ١٩٧١) ص٦-١٤.
- سامي نجيب عامر «أضواء على مكتبات المكفوفين في الأردن» رسالة المكتبة مج٩، ع٢ (١٩٧٤) ص٩-١٨.
- سيلك، فرانك كورت. التنسيق الدولي لخدمات المكتبة للمكفوفين والأفراد المعوقين/ فرانك كورت سيلك، ترجمة أحمد محمد غانم.- مجلة اليونسكو لعلم الإعلام والمكتبات والأرشيف س١٠، ع٤٠ (أغسطس/أكتوبر ١٩٨٠) ص١٨-٢٦.
- عبدالوهاب عبدالواسع. التعليم في المملكة العربية السعودية (د.م.):دار الكاتب العربي (د.ت.) ص١١٠-١١٣.
- فؤاد فرسوني (١٩٨٥) المكتبة النقطية - مكتبة الإدارة. مج١٢، ع٢ (يناير/فبراير ١٩٨٥).- ص٣٩-٦٥.
- كامسيار، هيلدا ودوروثي بوليت. الكتب الناطقة ترجمة فاطمة عبدالهادي استيته، رسالة المكتبة: س٢، ع٣ (يونيو ١٩٧٥)، ص١٨- ٢٣.
- محمد أمين البنهاوي (١٩٨٤) وسائل القراءة للمكفوفين في عالم الكتب والقراءة والمكتبات - العربي للنشر، طبعة مراجعة.- ١٩٨٤.- ص١٠١-١٠٣.
- مدخل إلى ميكنة المعلومات للمكفوفين في التعليم العام واستخدام الحاسب الآلي في تعليم المكفوفين. سجل بحوث المؤتمر الوطني السابع للحاسبات الإلكترونية - الرياض: معهد الإدارة العامة ١٩٨٣، ص٤٩-٥٦.
- المنظمة العربية للتربية والثقافية والعلوم. دراسة حول تربية المعوقين في البلاد العربية، تونس : المنظمة، ١٩٨٢.

ثانياً - قائمة المصادر الأجنبية :

- Bekiares, S.E. (1984), Technology for the handicapped. Selection and evaluation of aids and devices for the visually impaired, **Library Hi-Tech.** Vol.2,Issue 1, 1984, pp.57-62.
- Brill, Arlenc C.(1995),The land of the blind. In: pre-conference experts meeting section of libraries for the blind, Istanbul, August, 1995, p. 1-7.
- Burns, L and Reese, P.L. (1980) The Talking Library.- **Catholic Library World**.Vol. 52, No. 4, 1980, pp. 164-166.
- Commission on Standards and Accreditation of Services for the Blind. The COMSTAC Report; Standards for Strengthened Services. New York: COMSTAC, 1966.
- Cram, M.D. and Schauder, D.E. (1977) .- Libraries for the blind: An international study of policies and practices. England, Peter peregrinus, 152p.
- Cylke, F.K., (1977) , A proposal for international coordination of library service for blind and physically handicapped. Report, 1977, Sept., 6p. (EDRS: ED 139383) .
- The Danish National Library for the Blind, The Annual Report, 1994, pp1-11.
- Demirci, Emin. (1995) Turkish Braille and library services for the plind in Turkey, In : Pre-conference experts meeting, section of libraries for the Blind, Istanbul, August, 1995, pp1-8 .
- IFLA General Conference (1985) . Division of libraries serving the general public: section on libraries for the plind, Aug. 1985, 133p. See also. IFLA/SLB, 1995, Istanbul (Bosphorus University Library) .
- Kast, J. (1985) New Technology eases access to books for handicapped patrons. Jounral of Information and Image Management, Vol. 18, No. 8, (Aug. 1985).- pp. 24 - 27 .

- King, R.W. (1982) Teletext and Viewdata for plind people, **Radio and Electronic Engineer** (GB)., Vol 52, No. 4, 1982, .- pp. 171 - 176.
- King, Stephen & Wendy Davies (1995). Setting up low cost audio transcription centres to support plind people. amodel of service, 1995. pp.1 - 15.
- King, Stephen.(1995) New technology talking books, report on Toronto meeting, April 1995.International Federation of Library Services, section of libraries for the plind, Istanbul conference, 1955, pp. 1- 6 .
- King, Stephen. (1995) Digital Materials in the provision of library services for print disabled people. In : International Federation of library service, section of libraries for the Blind, Istanbul conference, 1995. pp. 1-9.
- Kingdom of Saudi Arabia, Ministry of Eduction (1992) the Efforts of the Ministry of Education to care for the Handicapped. 1992, 58p.
- Kurihara, Tooru (1995) Direct Access to information with computers. In : pre-conference experts meeting, section of libraries for the Blind, Istanbul, August, 1995, pp. 1-10.
- L.C. Library Service for Blind and physically Handicapped individuals, Aworld perspective., L.C. 1995.
- Leach, Allan. (1995) Brialle and its production. In : International Federation of Library Services, Section of Libraries for the Blind, Istanbul conference, 1995, pp.1-8.
- Massis, Bruce E. (1995) Libraries for the Blind and Radio Reading Services: A Natural Lindage,1995, pp. 1-18.
- Mates, B.T. (1990) CD-ROM : A New light for the Blind and visually impaired.- **Computers in libraries**.- Vol. 10, No. 3, 1990, pp.17 - 20.
- Mcmillan, Lindsay (1987) Turning print into sound., Association for the Blind of victoria, 1987.
- Mellinger, M.J. (1987) ATLAS from Data Research Associates. A fully integrated automation System. **Library Hi-Tech** .- Vol. 5, No. 1, 1987.pp. 53-60. See also :
Long, C.A, (1993) Making information available to partially sighted and plind Clients. **Electronic Library**, Vol. 11, No. 6, 1993. pp. 373-384.
- Prine, Stephen and Wright, Kieth (1982) . Standards for the visually and hearing impaired. **Library Trends** (Summer, 1982) . pp. 93- 108.
- Seidelin, Susanne (1995). Audio production special Format materials. In : Pre-conference experts Meeting, Secotion of Libraries for he Blind, Istanbul, August, 1995, p.1-9.
- Special Libraries, Vol. 71, No. 11(Nov. 1980). pp. 501 - 503.
- Systmes - Architects, Inc. (1975). Design of an automated Library.
Information storage and retrieval system for L.C. Division for the Blind and Physically Handicapped. Final Report, 1975, June 30. (EDRS: ED 108713).- 444p.
- Thomsen, Paulli (1985) The Establishment of a library service to visually handicapped people in African Developing Countries, **IFLA Journal**, Vol. 11, No. 1, 1985. pp. 36- 42.
- Vitzansky, Winnie, Setting up library services for blind and visually handicapped people. in : pre-conference experts meeting, section of libraries for the Blind, Istanbul, August, 1995, p. 1-18.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

نصوص تراثية محققة

ما تبقى من شعر
ابن القطاع اللغوي

عبدالمجيد محمد الأسداوي
الشرقية – الطويلة
جمهورية مصر العربية

أ - نسبه ومولده وحياته :

هو أبو القاسم علي بن جعفر بن علي بن محمد بن عبدالله بن حسين بن أحمد الأغلبي السعدي الصقلي المعروف بابن القطاع، أحد بني سعد ابن زيد مناة بن تميم .

ولد بصقلية في العاشر من صفر، سنة ثلاث وثلاثين وأربع مئة بعد الهجرة الموافق التاسع من أكتوبر سنة (١٠٤١م) .

وقد كان أبوه ذا وظيفة عالية في اللغة والنحو، وكان جده شاعرًا محسنًا، وكذا جد أبيه، وجد جده الحسين بن أحمد، كان شاعرًا راوية للأدب، مما مهد له، وأتاح لقريحته أن تنشأ في هذه الأسرة ذات النصيب الكبير في مجالات الأدب وروايته ولغته .. ثم قرأ الأدب على فضلاء صقلية، كأبي بكر علي بن الحسن بن عبدالبر التميمي اللغوي، أحد كبار علماء اللغة بذلك الإقليم آنذاك؛ وكان مما روى عنه ابن القطاع كتاب : «الصحاح»، لإسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، ومن طريقه اشتهرت رواية هذا الكتاب في جميع الآفاق .

ثم ارتحل عن صقلية، لما أشرف على تملكها الفرنج، ووصل إلى مصر في حدود سنتخمس مئة بعد الهجرة، فاكرمته الدولة المصرية وبالغ أهلها في الاحتفاء به ؛ فأقام في القاهرة يعلم ولد الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي وزير الملقب الآمر بالله منصور (ت ٤٩٥ – ٥٢٤هـ / ١١٠١ – ١١٣٠م)، حاكم مصر وقتئذ .

وظل يبذل قصارى جهده في التأليف والتصنيف والتأديب حتى وافته منيته في مصر، في عهد المسترشد (ت ٥٢٩هـ) بين سنتي (٥١٤هـ) و (٥١٥هـ) / ١١٢١م ، وقد جاوز الثمانين، ودفن بقرب ضريح الإمام الشافعي، رحمه الله تعالى (١) .

ب - تصانيفه :

لابن القطاع عدة تصانيف نوّه بها القدماء والمحدثون، منها :

١ - كتاب الدرة الخطيرة في شعراء الجزيرة (صقلية)، وهو كتاب اشتمل على عشرين ألف بيت، لمئة وسبعين شاعرًا (٢) . وهذا الكتاب مفقود ولكن مختصره المسمى «الكتاب المنتخل من الدرة الخطيرة في شعراء الجزيرة» للشيخ أبي إسحاق بن أغلب، توجد منه نسخة محفوظة بالمكتبة التيمورية، بدار الكتب المصرية، رقم (٢٢١٦)/ تاريخ. وقد نشره في روما المستشرق أمبرتور يزيتانو (٣).

٢ - كتاب الأسماء في اللغة، جمع فيه أبنية الأسماء كلها (٤) .

٣ - كتاب الأفعال، هذب فيه أفعال ابن القوطيه (ت ٣٦٧هـ) وأفعال ابن طريف (ت ؟)، وغيرهما (٥)، وقال عنه الزمخشري : لم يؤلف في معناه أجل منه على اختصاره (٦) ، وقد طبع في ثلاثة مجلدات، في نشرتين : أولاهما بدائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، سنة ١٣٦١هـ، وأخراهما : في عالم الكتب ببيروت، سنة ١٤٠٣هـ .

٤ - كتاب فرائد الشذور وقلائد النحور في الأشعار(٧).

٥ - كتاب ذيل تاريخ صقلية (٨) .

٦ - كتاب الأبنية الأسماء والأفعال (٩) ، وقد نهل منها السيوطي في مزهره (١٠) ، في أكثر من موضع . ولعل كتاب الأبنية هذا خلاصة كتابي الأفعال والأسماء المشار إليها قبل قليل .

٧ – كتاب لمح الملح، جمع فيه خلقًا كثيرًا من شعراء الأندلس وعلمائها (١١) .

٨ – كتاب المجموع الأدبي (١٢) .

٩ – كتاب شرح الأمثلة (١٣) .

١٠– كتاب حواش على كتاب الصحاح ، نفيسة، وعليها اعتمد أبو محمد ابن بري النحوي المصري (ت٧٠٩هـ) ، فيما تكلم عليه من حواشي الصحاح(١٤) .

١١ – كتاب الحجر، أو الأحجار، وبه من أسماء الأحجار (٢٠١) اسم ، وهو كتاب صنفه الصاحب ابن عباد (ت ٣٨٥هـ)، وزاد عليه ابن القطاع بعض الاستدراكات (١٥) .

١٢– كتاب العروض البارع بالاختصار الجامع، وهو كتاب أشار إليه كل من ياقوت (١٦) وابن خلكان(١٧) وابن العماد الحنبلي (١٨) والفيروزآبادي(١٩) وابن حجر العسقلاني (٢٠) وحاجي خليفة (٢١) والزركلي (٢٢)، ومحمد فريد وجدي (٢٣)، وبروكلمان (٢٤) إشارات متنوعة؛ فعده ياقوت : "كتاب العروض والقوافي" ، وقال عنه كل من ابن خلكان وابن العماد وفريد وجدي: "له عروض حسن جيد" وقال عنه الفيروزآبادي: " وله عروض جامع"ولمح ابن حجر إلى أنه "مصنف في العروض" . وقرر كل من حاجي خليفة والزركلي أن اسمه : «العروض البارع بالاختصار الجامع» وهو الاسم المثبت في عنوان إحدى مخطوطاته، وهي نسخة مكتبة الأسكوريال ذات الرقم (٣٣١)، وبمكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية صورة منها (٦٠٠١/عروض).

وتحتفظ دار الكتب المصرية بنسختين أخريين من هذا الكتاب، إحداهما تقع ضمن مجموع يحمل رقم (٤/عروض)، فيه إضافة إلى هذا الكتاب : المختصر الشافي في علم القوافي، وشرح أبيات المعاياة وباب اختصار الزحاف، وكلها للمؤلف، وفيه أيضًا شرح لامية الأفعال، نظم الشيخ جمال الدين ابن مالك. ويحتل كتاب العروض في هذا المجموع إحدى وعشرين ورقة إضافة إلى الصفحة الأولى من الورقة الثانية والعشرين .

والنسخة الثانية بدار الكتب تحمل الرقم (٥٨/عروض) وعنوانها : العروض البارع ... وقد اعتمدت على هذه النسخ الثلاث في تحقيق هذا الكتاب وإعداده للنشر .

١٣– كتاب المختصر الشافي في علم القوافي (٢٥) وقد أسلفت أن منه نسخة موجودة ضمن مجموع دار الكتب المصرية، رقم (٤/عروض) في حوالي عشرين ورقة، وبجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، صورة منه تحمل الرقم (٩٩٩/عروض).

١٤– شرح أبيات المعاياه (٢٦) وتوجد منه نسخة، من تسع ورقات في المجموع المشار إليه .

١٥– باب اختصار الزحاف (٢٧) وتوجد منه نسخة بذيل المجموع المشار إليه، في ورقتين، وقد ألحقته بكتاب العروض البارع بالاختصار الجامع في الإصدارة التي أصدرته بها .

ج – ما تبقى من شعره :

لابن القطاع أشعار وصفها ياقوت بقوله : إنها أشعار ليست على قدر علمه (٢٨)، ويدل تنوع أغراضه على باعه الطويل في هذا المضمار . وقد ذكر الراغب الأصبهاني عنه : «ذكر أنه قال الشعر صبياً سنة ستة وأربعين..» (٢٩) وقد جمعت ما تيسر لي من قريضه ورتبته حسب نزوعه الشعري بادئًا بالقوافي المكسورة الروي، فالمفتوحة، فالمضمومة، فالساكنة، مؤملاً أن يمتد بنا الجهد لجمع ما غاب عني في هذه المحاولة :

(١)

أولاً : الهمزة :

أ – قال في غلام اسمه حمزة [السريع] :

١ – يا من رمى النار في فؤادي
وأمطر بالعين البكاء

٢ – اسمك تصحيفه بقلبي
وفي ثناياك برء دائي

٣ – أردد سلامي فإن نفسي
لم يبق منها سوى الدماء

٤ – وارفق بصب أتى ذليلاً
قد مزج اليأس بالرجاء

٥ - أنهكه في الهوى ... تجني

... صار في رقة الهواء

المصادر : وفيات الأعيان ٣/٣٢٤، وشذرات الذهب ٢/٤٦، وفي الشذرات أنحله في الهوى .. وفي الأعيان : وأنبط العين بالبكاء .

(٢)

ب - وقال في البسر الأحمر [المنسرح] :

١ - انظر إلى البسر ... صورته

... حسن ما صورة رأى الرائي

٢ - كأنما شكله ... بصره

أنامل قمعت بحناء

المصدر : غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات، ١١٣.

(٣)

ج - وقال (المنسرح) :

١ - انظر إلى الماء ... سلاً لهبًا

... بجب لنار تضيء في ماء

المصدر : خريدة القصر ق٤، ١/٥٤ .

(٤)

د - وقال (خفيف) :

١ - أنت كالموت ... الخلق طرًا

... ما يدرك الصباح المساء

٢ - كيف يرجو ... خفت نجاء

... ؟ هيهات أين منك النجاء

المصدر : خريدة القصر ق٤، ١/٥٣ .

(٥)

ثانيًا - الدال :

أ - وقال في ألثغ (المنسرح) :

١ - وشادن في لسانه عقد

... عقودي وأوهنت جلدي

٢ - عابوه جهلاً به ... قلت لهم :

... سمعتم بالنفث في العقد

المصادر : البلغة ١٥٠، خريدة القصر ق٤، ١/٥٣-٥٤، وشذرات الذهب ٢/٤٦، ووفيات الأعيان ٣/٣٢٣ .

(٦)

وقال (السريع) :

١ - إياك أن تدنو من روضة

بوجنتيها ينبت الوردا

٢ - واحذر على نفسك من قربها

فإن فيها أسدًا وردا

المصدر : معجم الأدباء ٥/١٠٧ - ١٠٨.

(٧)

ثالثًا - الراء :

أ - وقال يخاطب محبوبته (الطويل) :

١ - ألا إن قلبي قد تضعضع للهجر

وقلبي من طول الصدود على الجمره

٢ - تصارمت الأجفان منذ صرمتني

فما تلتقي إلا على دمعة تجري

المصدر : معجم الأدباء ٥/١٠٨.

(٨)

ب - وقال في البيض (المنسرح) :

١ - أسمع عن البيض وصف مضطلع

بالوصف ماضي الجنان نحرير

٢ - بنادق التبر غشيت ورقًا

أو مشمس في صحاف كافور

المصدر : غرائب التنبيهات ١٥٦ .

(٩)

ج - وقال (الطويل) :

١ - إذا ابتسمت يومًا رأيت بثغرها

سموطًا من الياقوت قد رصعت درا

٢ - وإن سفرت عاينت شمسًا منيرة

ترد عيون الناظرين لها حسرى

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣ - وتسلب عيناها العقول إذا رنت
كأن بعينيها إذا نظرت سحرًا

ومنها :
٤ - ألا إنما البيض الحسان عـوادر
ومن قبحت أفعاله استحسن العذرا
٥ - يملن إلى سود القرون ؛ وميلها
إلى البيض منها كان لو أنصفت أحرى

المصدر : خريدة القصر ق٤، ١/٥٢ - ٥٣ .
والقرون : خصل الشعر .

(١٠)

رابعًا - الفاء :

أ - وقال مستهلاً مدحه للأفضل (الرمل) :
١ - صاحبي وا أسفا !! في ديارها فقفـا
٢ - واسمـعا أنبكمـا من حديثها طرفـا

المصدر : خريدة القصر ق٤ ، ١/٥٢ .

(١١)

ب - وقال مفتخرًا بشاعريته (البسيط) :
١ - يارب قافية بكر نظمت بها
في الجيد عقدًا بدر المجد قد رصفا
٢ - يود سامعها لو كان يسمعها
بكل أعضائه من حسنها شغـفـا

المصدر : معجم الأدباء ٥/١٠٨ .

(١٢)

خامسًا - الكاف :

أ - وقال في وصف الشراب (الرمل) :
١ - أقبل الصبح وصاح الديكه
فاسقنيها قهـوة منسفكـه
٢ - قهـوة لو ذاقهـا ذو نسـك
لزم الفتك وخـلى نسكـه
٣ - فاهن دنياك تعززك ، ولا
تترك المال كمـن قد تركـه

٤ - واغتنم عمرك فيها طائـرًا
قبل أن تحصل وسط الشبكه

المصدر : خريدة القصر ق٤، ١/ ٥٤ .

(١٣)

سادسًا - الميم :

أ - وقال مسترشدًا (الطويل) :
١ - فيا نفس عدي عن صباك فإنه
قبيـح بـرأس بالمشيـب معمـم
٢ - أفق إن في خمسين عامًا لحجة
على ذي الحجى إن لم يكن قلبه عمي

المصدر : خريدة القصر ق٤، ١/٥٢ .

(١٤)

ب - وقال (الطويل) :
١ - فلا تفدن العمر في طلب الصبا
ولا تشقين يومًا بسـعدى ولا نعم
٢ - ولا تندبن أطـلال مـية بالـلوى
ولا تسفحن ماء الشئون على رسم
٣ - فإن قصارى المرء إدراك حاجـة
وتبقى مذمات الأحاديـث والإثم

المصادر : وفيات الأعيان ٣/٣٢٣ - ٣٢٤، وخريدة القصر ق٤، ١/٥١ - ٥٢ .

(١٥)

ب - وقال في وصف الرمان (البسيط) :
١ - رمانة مثل فهد العاتـق الريم
تزهي بلون وشكـل غير مذموم
٣ - كأنها حقة من عسجد ملئت
من البراقيت نثرًا غـير منظـوم

المصادر : غرائب التنبيهات ١١٥، وخريدة القصر ق٤، ١/٥٣، وبدون نسبة في نهاية الأرب ١١/١٠٣.
وفي الخريدة :
رمانة مثل هـذا العـانق الريم
يزهي بلون وبشكل غير مسئوم

وفي نهاية الأرب :

رمانة مثل نهد الكاعب الريم

تزهي بشكل ولون غير مذمـــوم

والعانـق : الحسـن ، والـريم : الظبـي الخالـص البيـاض.

(١٦)

د - وقال مادحاً (الكامل) :

١ - من ذا يطيق صفات قوم مجدهم

وسناهم من عهد سام سامي ؟!

٢ - حماهم من عهد حام لـم يـزل

يحميه ليث غالب بحسام ؟ !

المصدر : خريدة القصر ق٤ ، ٥٢/١.

(١٧)

هـ - وقال في الزهد (الوافر) :

١ - تنبه أيها الرجـل النئـوم

قد نجمت بعارضك النجوم

٢ - وقد أبدى ضياء الصبح عما

أجن ظلامه الليل البهيـم

٣ - فلا تغررك مغرور دنيـا

غرور لا يـدوم لـها نعـيم

٤ - ولا تخبط بسوج غمبوض

فقد وضح الطريق المستقيم

المصدر : خريدة القصر ق٤، ٥٤/١ - ٥٥.

عنى بالضـيـاء : الرشـاد ، وبالصـبح : الرشـاد، وبالظلام: الغي، وبالليل : الشباب .

(١٨)

سابعًا - النون :

قال متغزلاً (خفيف) :

١ - يا بدر الم على غصـن

من أعيننا خديك صـن

٢ - يا عذب الريق أرقت دمي

وصالك هجرًا عذبنـي

٣ - أجريت الخمر على بـرد

يروي شفتيك وعطشني

٤ - شهد المســواك بأن لـه

شهدًا عطرًا بعد الوســن

٥ - يا بين أبنت الصبر فكـم

تنثي الأحباب وليس تني

٦ - رفقًا بفـؤاد حـاديهـم

معهم قد سارعن البـدن

٧ - فيهن غـزال ذو غـيد

عيشي بنواه غير هـــني

٨ - حال ببديع محاسنــــه

وبها عن زين الحلي غنـي

٩ - روحي قد بعت له وبـه

ما زلت أضن بلا ثمـــن

١٠ - في حضرته أصفى فرحي

وبغيبته أضفـى حزنـــي

١١ - مذ أبعد قرب لي حرقًا

كادت لوقـــود تطفئني

المصدر : بغية الوعاة ١٥٤/٢ .

(١٩)

ب - وقال في وصف الشراب (خفيف) :

١ - قهوة إن تنسمـــت لمـزاج

خلت ثغرًا في كأسها لؤلؤيا

٢ - فاصطحبها سلافة تترك الشيـ

ـخ إذا ما أصاب منهـا حبيا

٣ - واغتنم غفلة الزمان فـإن الـ

ـمرء رهن ما دام يوجـد حيا

٤ - قطع العذر يا عذ ولي عـذار

كهلال أنـار بـدرًا سـويًا

المصدر : خريدة القصر ق٤ ، ٥٢/١ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحواشي

١ – ينظر بالتفصيل:
معجم الأدباء ٥/١٠٧ – ١٠٨، ووفيات الأعيان ٣/٣٢٢ – ٣٢٤، والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ص١٤٩ – ١٥٠، وشذرات الذهب، ٢/٤٥ – ٤٦ ولسان الميزان ٤/٢٠٩، وتاريخ الخلفاء، ٦٩٢ وبغية الوعاة ٢/١٥٣ – ١٥٤، وإنباه الرواة ٢/٢٣٦، والبداية والنهاية ١٢٢/٢٠٢، ومرآة الجنان، ٣/٢١٢ وخريدة القصر ق٤، جـ١ ، ٥١ – ٥٥، وأسماء الكتب ١٧ و ١٨٠، وكشف الظنون ٢/١١٣٤، ومفتاح السعادة ١/٢١٩ – ٢٢٠، والأعلام ٥/٧٦، ودائرة معارف القرن العشرين ٧/٨٨٥ – ٨٥٦، وتاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان ٥/٣٤٦ ...

وتجدر الإشارة إلى أن ابن القطاع هذا غير عيسى بن سعيد الوزير الأندلسي (ت ٣٩٧هـ) وسديد الدين أبي الحسن جعفر بن محمد البغدادي (ت ٦٠٢هـ) المعروفين بابني القطاع، أيضًا، راجع الذخيرة ١/١/١٠٢، والأعلام ٢/١٢٤ و٥/٢٨٧ ...

٢ – معجم الأدباء ٥/١٠٧، ووفيات الأعيان ٣/٣٢٢، والبلغة ١٤٩، وشذرات الذهب ٢/٤٦، ولسان الميزان ٤/٢٠٩، ومرآة الجنان ٣/٢١٢، وإنباه الرواة ٢/٢٣٦، وخريدة القصر ق٤/١/٥١، ومفتاح السعادة ١/٢٢٠، وبروكلمان ٥/٣٤٧، والأعلام، ٥/٧٦، وسزكين ٢/٣/٢٠٣ .

٣ – خريدة القصر ق٤، ١/٥١ ، حاشية رقم(٢).

٤ – تاريخ ابن الوردي ٢/٥٠، ومرآة الجنان ٣/٢١٢، ومعجم الأدباء وشذرات الذهب وبروكلمان ودائرة معارف القرن العشرين (المواضع نفسها) .

٥ – معجم الأدباء والوفيات والشذرات والمرآة وابن الوردي وإنباه الرواة، والبداية وأسماء الكتب والأعلام، المواضع نفسها .

٦ – البلغة ١٤٩ .

٧ – معجم الأدباء، ومفتاح السعادة، المواضع نفسها .

٨ – المصدران نفساهما .

٩ – المصادر السابقة .

١٠– المزهر ٢/٤ – ٣٤ .

١١– وفيات الأعيان وشذرات الذهب ومرآة الجنان والأعلام، نفسها .

١٢– إنباء الرواة ٢/٢٣٦ .

١٣– المصدر نفسه .

١٤– معجم الأدباء، ومفتاح السعادة، وبروكلمان ٥/٣٤٧، وسزكين ٨ /١/٣٨٩.

١٥– سزكين ٨ /١/٣٧٥ .

١٦– معجم الأدباء ٥/١٠٧ .

١٧– وفيات الأعيان ٣/٣٢٣ .

١٨– شذرات الذهب ٢/٤٥ .

١٩– البلغة، ١٤٩.

٢٠– لسان الميزان ٤/٢٠٩.

٢١– كشف الظنون ٢/١١٣٤.

٢٢– الأعلام ٥/٧٦.

٢٣– دائرة معارف القرن العشرين ٧/٨٥٦.

٢٤– تاريخ الأدب العربي ٥/٣٤٧.

٢٥– أسماء الكتب ١٨٠، وفهرس المتحف البريطاني، ثان ٧٦٨، وفهرست الكتب العربية الموجودة بالكتبخانة الخديوية ٤/١٩٤، وبروكلمان ٥/٣٤٧، والأعلام ٥/٧٦.

٢٦– بروكلمان، والأعلام، الموضعان نفساهما.

٢٧– بروكلمان، نفسه، وفهرس المخطوطات بجامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ص٥٠٥ .

٢٨– معجم الأدباء ٥/١٠٧.

٢٩– خريدة القصر ق٤، ١/٥١.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المصادر والمراجع

١ - الأزدي، علي بن ظافر المصري: غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات، تحقيق محمد زغلول سلام ومصطفى الجويني - مصر : دار المعارف، ١٩٧١م .

٢ - حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - طهران ١٣٤٧هـ .

٣ - ابن حجر العسقلاني : لسان الميزان، م. الأعلمي - بيروت، ١٩٧١م .

٤ - الحنبلي، أبوالفلاح عبدالحي بن العماد : شذرات الذهب م. التجاري - بيروت (د.ت) .

٥ - ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد : وفيات الأعيان وأنباء الزمان، حققه . إحسان عباس - بيروت : دار الثقافة ١٩٦٨م.

٦ - الراغب الأصبهاني : خريدة القصر ، ق٤، جـ١، ط١ - القاهرة : نهضة مصر .

٧ - رياضي زاده، عبدالله بن محمد: أسماء الكتب، تحقيق محمد التونجي - دمشق: دار الفكر، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

٨ - الزركلي، خير الدين : الأعلام - بيروت : دار العلم للملايين .

٩ - السيوطي، جلال الدين : المزهر - مصر: م. الحلبي، ١٩٥٨م.

وبغية الوعاة - مصر م. الحلبي ، ١٩٦٥م.

وتاريخ الخلفاء - مصر م نهضة مصر، ١٩٧٦م.

١٠- طاش كبرى زاده، عصام الدين أبو الخير أحمد بن مصطفى: مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم - القاهرة: دار الكتب الحديثة (د.ت) .

١١- علي حسين البواب : فهرست المخطوطات المصورة في النحو والصرف واللغة والعروض بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ١٤٠٧هـ.

١٢- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد ابن يعقوب : البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، حققه/ محمد المصري - الكويت : م. مركز المخطوطات والتراث، ١٤٠٧هـ .

١٣- القفطي ، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف : إنباه الرواة على أنباه النحاة ، دار الكتب المصرية، ١٩٧٣م .

١٤- كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبدالحليم النجار، جـ٥، دار المعارف بمصر .

١٥- ابن كثير، عماد الدين أبو الفدا إسماعيل : البداية والنهاية في التاريخ - الرياض : م. الأصمعي، د . ت .

١٦- محمد فؤاد سزكين : تاريخ التراث العربي، ترجمة محمود فهمي حجازي - الرياض : م. جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية ، ١٤٠٥هـ.

١٧- محمد فريد وجدي : دائرة معارف القرن العشرين - بيروت: دار المعرفة، ١٩٧١م.

١٨- النويري، شهاب الدين أحمد ابن عبدالوهاب : نهاية الأرب في معرفة فنون الأدب - القاهرة : م. المصرية للتأليف، ١٣٤٢هـ .

١٩- ابن الوردي، زين الدين عمر: تتمة المختصر في أخبار البشر (تاريخ ابن الوردي)، إشراف وتحقيق أحمد رفعت البدراوي - بيروت : دار المعرفة، ١٩٧٠م .

٢٠- اليافعي، أبو محمد عبدالله ابن أسعد بن علي : مرآة الجنان - ط٢ - بيروت: م. الأعلمي ، ١٩٧٠م.

٢١- ياقوت الحموي : معجم الأدباء - مصر : ط . هندية بالموسكي، ١٩٢٧م .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وَضَّاح أمْ وَضّاحان ؟

محمد خير البقاعي
حمص - سورية

مقدمة

لما كنت مهتماً بشعر وضّاح اليمن أتَتَبَّعُهُ في كل ما تقع عليه يدي من كتب ومخطوطات، فقد كان من اللازب أن أراجع كتب الأدب التي تصدر بين الفينة والفينة، ويأتي في طليعتها كتاب «المحب والمحبوب والمشموم والمشروب» للسري بن أحمد الرفاء (ت ٣٦٢ هـ)، تح مصباح غلاونجي، ط. مجمع اللغة العربية في دمشق (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م). وقد وقفت في هذا الكتاب (ص ٢٠٨ - ٢٠٩) (ق ٣٦١) على قوله:

«وأما صفة الوجه بالطلاقة والبهجة للسؤال، فالمتقدمون ما تركوا فيه لقائل مقالاً، ولا لخاطر مجالاً (...) وقد فصل هذا المعنى تفصيلاً حسنًا وبسطه وضاح اليمن فقال:

وقائلةٍ والليلُ قد صَبَغَ الرُبا ... بصبغٍ يُغَشّي كُلَّ حَزْنٍ وفَدْفَدِ
أرى بارقاً يبدو من الجوسق الذي ... به حل ميراث النبيِّ محمد
أضاءت له الآفاق حتّى كأنَّما ... رأينا بنصف الليل نور ضحى الغَدِ
وظَلَّ عذارى الحيِّ يُنَظمْن حَوْلَه ... ظفارية الجزع الذي لم يسرَّدِ
فقلت هو البدر الذي تعرفينه ... وإلاّ يكنْ فالنور من وجه أحمد

قال المحقق في التخريج (له في زهر الآداب ٣/١٩٧، والعمدة ٢/٦٣، وحلية المحاضرة ١/٤٠١ وفيه "قال يمدح المستعين" .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتتبعت هذه الأبيات في المصادر التي ذكرها المحقق فوجدت أنه قد جانب الصواب في متابعة السري الرفاء الذي أغرب في نسبة الأبيات إلى وضاح اليمن .

ولو دقق المحقق في المصادر التي ذكرها لعرف وجه الصواب في هذا الأمر، وهذا تحقيق ذلك :

جاء في حلية المحاضرة (١/٤٠٠ - ٤٠١) ط. وزارة الثقافة والإعلام العراقية (١٩٧٩) بتحقيق جعفر الكتاني. ومؤلف الكتاب هو أبو علي محمد بن الحسن ابن المظفر الحاتمي (ت ٣٨٨هـ).

جاء عنده في باب «من أحسن ما قيل في إضاءة وجوه الممدوحين وأحسابهم وتمزق جلابيب الظلام دون وافديهم وزوّارهم » .

قال أبو علي: وقد أكثر الناس في هذا المعنى. ويعجبني كل الإعجاب قول أبي بذيل (كذا) الوضاح ابن محمد التميمي يمدح المستعين. فإنه أبدع ومتّع وبرع: (من الطويل) .

وقائلة والليل قد صَبَغَ الرُبا
فَغَشَّى به ما بيْن سَهْل وقَرْدَدِ
أرى بارقاً يبدو من الجوسق الذي
به حل ميراث النبي محمد
فظَلّ عذارى الجزع يُنَظمْن تحته
ظفارية الجزع الذي لم يسردِ
فقلت هو البدر الذي تعرفينه
وإلاّ يكنْ فالنور من وجه أحمد

ولم يخرجها محقق الحلية. ويلاحظ أن صواب الشطر الثاني من البيت الأخير (وإلاّ يكن ...) لمكان العروض.

ثم جاءت الأبيات في كتاب زهر الآداب وثمر اللباب (ط. زكي مبارك) حققه وزاد في تفصيله وضبطه وشرحه محمد محي الدين عبدالحميد، الطبعة الرابعة (١٩٧٢) دار الجيل - بيروت ومكتبة المحتسب - عمّان، والمؤلف هو أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني المتوفى عام (٤٥٣هـ). جاء فيه (٢/٥٥٢- ٥٥٣):

وقال أبو بديل الوضّاح بن محمد التيمي (كذا) في المستعين:

١ - .... فغطّى بها مابين.........

٢ - ....

٣ - .... نور ضُحى غَدِ

٤ - .... ســــــلوكًا من الجزْعِ

٥ - ..... تعرفونه ....

وجاءت الأبيات خمسة في العمدة في محاسن الشعر (ط. قرقزان) دار المعرفة - بيروت (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، في الجزء الأول، (ص ٦٧١-٦٧٢) والمؤلف هو أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الذي عاش بين (٣٩٠هـ - ٤٥٦هـ).

قال ابن رشيق: «وتناول هذا المعنى أبو بديل الوَضّاح بن محمد التيمي، فقال: يمدح المستعين بالله :

١ - كرواية زهر الآداب.

الرابع في رواية زهر الآداب هو الثالث في العمدة والثالث هو الرابع والرواية.

٤ - .... يَنْظِمْنَ تحته.........

وخرجها المحقق من حلية المحاضرة، ولم يُشِرْ إلى أن كنية الشاعر مصحفة فيها إلى «أبي بذيل» بالذال المعجمة والصواب أن يكون بالدال المهملة.

ثم خرّج البيت الأول من كتاب كفاية الطالب ص١٧٣ وقد أورده المؤلف شاهدًا على «التشكيك» ونَسَبه لأبي بديل الوضاح بن محمد الثقفي علمًا أن الأبيات في كفاية الطالب خمسة برواية تراجع، خرجها المحققون من العمدة ونجد في طبعة المرحوم محمد محي الدين عبدالحميد للعمدة، دار الجيل ببيروت، الطبعة الرابعة (١٩٧٢)، (٢/٦٧).

وتناول هذا المعنى أبو زيد الوضاح بن محمد الثقفي فقال يمدح المستعين بالله... الأبيات ؛ ولم يجد محقق العمدة (قرقزان) ترجمة للشاعر فأشار إلى خبر في الأغاني جاء فيه ذكر «أبو وضاح حبيب بن بديل...» وقال: ولعل أبا وضاح هذا أحد أجداد الشاعر أبي بديل.

وجاء البيت الثالث من رواية الرفاء في كتاب الدر الفريد وبيت القصيد لابن أيدمر (مخطوط) القسم الأول من المجلد الأول، الورقة (١٥٣) منسوبًا لوضاح اليمن ونرى أن صواب الرواية فيه ما جاء في كفاية الطالب: أضاءت به الآفاق حتى كأنما.... قلت: وأظن أن الأبيات للوضاح بن محمد، وهو الوضاح الكوفي أنشد له محمد بن داود الأصفهاني صاحب كتاب الزهرة والمتوفى سنة (٢٩٦ هـ) وقيل (٢٩٧ هـ)، أنشد له في الزهرة (١٩٦/١) ط. إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن الزرقاء (ط. ٢، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م) قال:

«وبلغني أن الوضاح الكوفي كتب إلى علي بن محمد العلوي...» وعلي هذا هو المعروف بالعلوي الكوفي تمييزًا له من العلوي البصري صاحب الزنج، وصاحبنا يُعرف بالحمّاني نسبة إلى بني «حمّان» في الكوفة فقد كان ينزل فيهم فنُسب إليهم، يقول جامع ديوانه محمد حسين الأعرجي (المورد المجلد الثالث العدد الثاني ص١٩٩-٢٢٠):

«وأغلب الظن أن الشاعر ولد في الكوفة في سنة لم تؤرخها المصادر التي بين أيدينا ولم تورد ما يعين على تحديدها. ورغم هذا فمن المعاصرين من يرى أنه «كان من المعمرين أدرك القرن الثالث من أوله إلى آخره» وهو وهم مرده إلى أن المرحوم الأميني يرى أن وفاة أبيه كان سنة ٢٠٦هـ وإلى ما شاع بين المتأخرين من خلط بين شاعرنا وعلي بن محمد بن جعفر الصادق المعروف بالديباجة. وإزاء هذه فالإشارة الوحيدة التي وصلت إلينا إلى عمره قوله:

أعدُّ سبعين ولو جُعِلَتْ
نعماؤها عادت إلى عام

وإذا أخذنا بأنه أدرك القرن الثالث أخذ ترجيح قولنا إنه ولد في العقد الثاني أو الثالث من القرن الثالث...»

ويرى الأميني صاحب كتاب «الغدير في الفقه والسنة والأدب» أنه توفي سنة (٣٠١هـ).

وجاء في الكامل في التاريخ (٣٧٣/٥) وفي مروج الذهب (١٥٣/٤) أنه توفي سنة (٢٦٠هـ). وفي هدية العارفين (٦٧٣/١) أنه توفي سنة (٢٤٥هـ).

وأظن أن الصواب ماجاء في الكامل من التاريخ ومروج الذهب لأنه يكون بذلك معاصراً الوضاح بن محمد الذي رأيناه يمدح المستعين بالله الخليفة العباسي، وهو أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد الذي توفي سنة (٢٥٢هـ) وجاء في تاريخ الطبري ذكر للوضاح التميمي أبو محمد في غير موضع، وهذا بيان ذلك: في ٣٠٩/٧ «أن الوضاح بن حبيب بن بديل قدم على نصر بن سيار من عند عبدالله بن عمر وقد أصابه برد شديد، فكساه أثوابًا ...».

وتوفي نصر بن سيار سنة (١٣١هـ).

ونجد الطبري نفسه يذكر في ٥١٢/٨ في أحداث سنة (١٩٨هـ):

«وذكر عن أحمد بن إسحاق بن برصوما، قال: لما حُصِرَ محمد (الأمين) وضغطه الأمر، قال: ويحكم ما أحد يستراح إليه! فقيل له: بلى، رجل من العرب من أهل الكوفة، يقال له وضاح بن حبيب بن بديل التميمي، وهو بقية من بقايا العرب، وذو رأي أصيل، قال: فأرسلوا إليه، قال: فَقَدِمَ علينا، فلما صار إليه قال له: إني خُبرت بمذهبك ورأيك، فأَشِرْ علينا في أمرنا، قال له: يا أمير المؤمنين، قد بطل الرأي اليوم وذهب، ولكن استعمل الأراجيف فإنها من آلة الحرب، ....».

ويبدو أن الوضاح قد عُمِّر أيضًا؛ فبين وفاة نصر بن سيار (١٣١هـ) وتولي المستعين الخلافة سنة (٢٤٨هـ) مئة وسبع عشرة سنة (١١٧) وأبيات الزهرة التي أرسل بها الوضاح الكوفي إلى علي بن محمد العلوي قوله:

خُطَّة في الذَّنوب والاعتذار
ليس يُعنى بها سوى الأحرار
ضِقْتُ ذَرعاً بها وقد كنت أشفيـ (م)
ـتَ على الهُلْكِ من شفير هارِ
فتجاللت عن جزاء بسوءٍ
وترافعت عن طلاب بثار
ثم لم ترض لي بذلك حتى
صنتني عَنْ مذلّة الاعتذار
ثم أوْجبتَ لي على غير عقْدِ
حُرمةَ المستجير بالمستجارِ
لم نر العفو منك يقدح في عِرْ
ضك لما عفوت بعد اقتدار

ووجدت له في الدر الفريد وبيت القصيد (١٧٢/٥) (مخطوطة المكتبة الرضوية، مشهد) الوضاح التميمي:

نسيم الصبا كم مُهْجة قد تركتها
مولَّهة حرى وأنست سليمُ
لعمرك ما إن طبت إلاّ وقد جرى
برياك من ريا الحبيب نسيم

وقال: هو أبو بديل الوضاح بن محمد التميمي الكوفي الفقيه.

ولم يترجم له محقق الزهرة إبراهيم السامرائي؛ بل قال «لم أهتد إلى الوضاح الكوفي» وهو مَنْ ترى في ما ذكرناه.

ويبدو أنه غير الوضاح الشاعر الذي ورد ذكره في كتاب «الإبانة عن سرقات المتنبي» لأبي سعد محمد بن أحمد العميدي (المتوفى سنة ٤٣٣هـ) تح إبراهيم الدسوقي البساطي، ط. دار المعارف بمصر (ذخائر العرب ٣١) (١٩٦١) (ص ١٣٤) وفيه:

«الوضاح الشاعر وكان مع المهلب بن أبي صفرة بخراسان يمدحه:

رميتهم لَما عصوك جهالة
ببحر مراسيه القنا والقواضبُ
فأفنيتهم بالسيف لم تُبقْ يافعاً
ولا ناشئاً منهم ولا عاش شائبُ
كذا فليسر من هَمُّه طلبُ العلا
ومن يقصد الأعداء والرأي صائب

وقدم المهلب خراسان سنة (٧٩هـ) في أيام عبدالملك ابن مروان الذي ولاّه ولايتها وبقي هناك حتى مات سنة (٨٣هـ) وقيل (٨٢هـ)

فهل يكون هذا الوضاح هو وضاح اليمن الذي بقي

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com

بعد المهلب وعاصر الوليد بن عبدالملك الذي توفي سنة (٩٦هـ) علمًا أن الزركلي يؤرخ لمقتل وضاح اليمن بسنة (٩٠هـ) وكان ابن تغري بردي قد أرخ لمقتله بسنة (٩٣هـ) النجوم الزاهرة (٢٢٦/١) مما يرجّح أنه المذكور في كتاب الإبانة. والله أعلم.... إذنْ هما وضاحان وليس وضاحًا واحدًا، والأبيات التي نسبها السريّ الرفاء لوضاح اليمن هي لوضّاح الكوفي وهو أبو بديل بن محمد التميمي الكوفي الذي يبدو أنه كان من المعمرين، ويدل على ذلك ما جاء في الخبر الذي رواه الطبري من قولهم: إنه بقية من بقايا العرب. ولم يتنبه محقق كتاب السري الرفاء إلى اختلاف النسبة في المصادر التي خرّج منها الأبيات، وكذلك ابن أيدمر صاحب الدر الفريد وبيت القصيد الذي نسب أحد أبيات المحب والمحبوب إلى وضاح اليمن وهو وهم كما رأينا.

هذا ما أردت قوله في التعليق على قضية التمييز بين الوضّاحين؛ والله من وراء القصد.

المصادر والمراجع

١- الإبانة عن سرقات المتنبي، لأبي سعد محمد بن أحمد العميدي، تح إبراهيم الدسوقي البساطي، ط. دار المعارف بمصر (ذخائر العرب ٣١)، ١٩٦١.

٢- الأعلام، لخير الدين الزركلي، ط. دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط. الخامسة ١٩٨٠م .

٣- تاريخ الطبري، ط. دار المعارف (ذخائر العرب ٣٠) تح. محمد أبي الفضل إبراهيم .

٤- حلية المحاضرة لأبي علي الحاتمي، تح. جعفر الكتّاني، ط. وزارة الثقافة والإعلام العراقية، ١٩٧٩م .

٥- الدر الفريد وبيت القصيد، لابن أيدمر (مخطوط) مصور في سلسلة معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت، ويصدرها فؤاد سزكين بالتعاون مع آخرين .

٦- ديوان علي بن محمد الحماني العلوي الكوفي، صنعه محمد حسين الأعرجي، المورد، مج٣، ع٢، ١٩٧٤م .

٧- ديوان وضاح اليمن، تح. محمد خير البقاعي (تحت الطبع).

٨- زهر الآداب وثمر الألباب للحصري القيرواني، ط. زكي مبارك، حققه وزاد في تفصيله وضبطه وشرحه محمد محي الدين عبدالحميد، ط. دار الجيل – بيروت مكتبة المحتسب – عمّان، ١٩٧٢م .

٩- الزهرة لمحمد بن داود الأصبهاني، تح. إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار – الأردن – الزرقاء، ط٢، ١٩٨٥م.

١٠- العمدة في محاسن الشعر لابن رشيق، تح. محمد قرقزان، دار المعرفة – بيروت ١٩٨٨م. وط. محي الدين عبدالحميد، ط٤، دار الجيل بيروت، ١٩٧٢م .

١١- الغدير في الفقه والسنة والأدب – عبدالحسين الأميني، طهران، مط الحيدري ط٢، ١٣٧٢هـ .

١٢- الكامل في التاريخ لابن الأثير، صححه عبدالوهاب النجار، القاهرة، المطبعة المنيرية ١٣٥٧هـ.

١٣- كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب، لابن الأثير، تح. نوري القيسي، حاتم الضامن، هلال ناجي منشورات جامعة الموصل في العراق، ١٩٨٢م .

١٤- المحب والمحبوب والمشموم والمشروب للسري الرفاء، تح. مصباح غلاونجي ط. مجمع اللغة العربية – دمشق ١٩٨٦م.

١٥- مروج الذهب للمسعودي، تح. محمد محي الدين عبدالحميد، القاهرة، مطبعة السعادة، ط٣، ١٩٨٥م .

١٦- النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة لابن تغري بردي، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب .

١٧- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل بن محمد البغدادي، طبعة مصورة ملحقة بإيضاح المكنون وكشف الظنون .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

قراءة التراث النقدي

لجابر عصفور

ماجدة محمد حمود

كلية الآداب

جامعة دمشق

عصفور، جابر/ قراءة التراث النقدي.- ط١.- قبرص: مؤسسة عيبال للدراسات والنشر، ١٩٩١.

صدر عن مؤسسة عيبال للدراسات والنشر في قبرص كتاب «قراءة التراث النقدي» لجابر عصفور الذي نجده في المقدمة يوضح لنا أن هذا الكتاب يضم نوعين من الدراسات: النوع الأول هدفه (نظرية القراءة) المباشرة أي «من حيث هي مجموعة الاستراتيجيات والقواعد التي تحكم القراءة التطبيقية، فتحكم العلاقة بين القارئ والمقروء، واتجاهات القراءة وأهدافها وحدودها القصوى، ومن هذا المنظور كان القسم الأول من الكتاب بعنوان (مقدمات منهجية) أما القسم الثاني من الكتاب فهو قراءات تطبيقية يدور أولها حول الخصومة بين القدماء والمحدثين في العصر العباسي، ويدور ثانيها حول الناقد الشاعر ابن المعتز ويدور ثالثها حول نظرية الفن عند الفارابي، ويدور رابعها حول الخيال المتعلق عند الاحيائيين» (١)

وهو يعترف في مقدمة الكتاب بأنه لا توجد قراءة بريئة، أو محايدة للتراث؛ لأننا عندما نقرأ التراث ننطلق من مواقف فكرية محددة، نؤمن بها فتحدد إطارنا المرجعي، لكنه رغم ذلك نجده منشغلاً بمدى حضور الموضوعية في قراءة التراث، متسائلاً: «ما مدى حضور التراث المقروء نفسه ؟ هل هو حضور (هناك) في زمان انقطع؟ أم أنه حضور (هنا) في زمان ممتد؟» .

إذًا نلمح في المقدمة أن لدى الناقد جابر عصفور هاجسًا هو: كيف نقرأ التراث؟ وتحول هذه القراءة إلى عملية تسهم في تطوير وعينا بواقعنا وتراثنا في الوقت نفسه، كما نلمس لديه طموحًا لتقديم فهم واقعي غير مجرد للتراث «يتنزّه عن ادعاء نزعة علمية وضعية، تفصل التراث المقروء عن وعينا، أو نزعة مثالية ذاتية تفصل التراث المقروء عن عصره، هذا المعنى الذي نتعلمه من (التاريخ) لن يصل أنماط قراءة التراث النقدي بالأنساق الأدبية أو النقدية للقارئ الحديث فحسب؛ بل يجعل من عملية القراءة نفسها جانبًا لاينفصل عن أنساق معرفية كبرى، تشمل النقد الأدبي وتحتويه، وتجعل من عملية قراءة التراث النقدي جانبًا لاينفصل عن عملية قراءة التراث بوجه عام، سواء كنا نتحدث عن التراث بمعانيه الخاصة أم العامة». (٢) لأننا حين نقرأ التراث كله بشكل جيد، لابد أن ينعكس ذلك بشكل إيجابي على قراءة الواقع، إذ نتمكن من الاستفادة من معطياته الإيجابية في بناء أدبنا وفكرنا بناء متماسكًا، ولكن عصفور يلاحظ أن كتب تاريخ النقد الأدبي عند العرب لاتزال قاصرة، إذ لانعرف فيها سوى النقد النظري والتطبيقي بمعناهما الضيق فنجدها تبعد شروح الشعر وكتب المعاني ومقدمات الشعراء لدواوينهم ونصوصهم الشعرية (التي تنعكس على نفسها لتصف الشعر) وردودهم على خصومهم ... إنه ينبهنا إلى أمر مهم وهو قصر النظر والسطحية في التعامل مع التراث النقدي، لذلك نجده يدعو إلى امتلاك نظره شمولية ودقيقة عند قراءته، لنصل إلى قراءة منهجية تسهم في تطوير وعينا بواقعنا وتراثنا في آن.

ولكن إلى أي مدى حقق هذا الطموح، وهل استطاع أن يقرأ التراث كما هو قراءة محايدة، أم انطلق في قراءته من أفكاره الخاصة التي أسقطها على النص التراثي فحمّله فوق طاقته؟.

صحيح أنه من الصعب قراءة التراث قراءة محايدة،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خاصة حين نكون أمة مهزومة في الحاضر، قوية في الماضي. إذ لابد عندئذٍ أن نرى الكمال متجسداً فيه، وكثيراً مانظلم إنجازات التراث حين نقارنها بإنجازات الغربيين في المعارف والعلوم، إذ نجده لم يحقق منها شيئًا، أو نجد فيه بعض القضايا التي سبق فيها المسلمون الغربيين فنقف أمامها مصفقين مهللين، وننسى أن الوقوف يعني الجمود والموت.

إن عقد النقص التي تتربع في أعماقنا هي التي تدفعنا إلى هذه الحماسة، علنا نجد تعويضًا عن بؤس الحاضر وتخلفه، لذلك نجده يقول «آن الآوان لأن ننتقل من المباهاة المؤسسية بعبدالقاهر في حضرة دي سوسير إلى الفهم الموضوعي العميق والتاريخي لنصوصه ونصوص دي سوسير، في علاقاتها المتباينة، وأنساقها المغايرة، بوعي نقدي لايتضاد عاطفيًا؛ بل يتماسك إجرائيًا، ويتأسس منهجيًا في سعيه لإنتاج معرفة جديدة (لا أيديولوجيا جديدة) بالتراث، فقد تكون أدوات إنتاج معرفتنا الجديدة بالتراث ليست من صنعنا تمامًا، ولكننا يمكن أن نمتلكها تمامًا، بالفحص الدقيق لسلامتها والمراجعة المستمرة لأصلها، والانتباه اليقظ إلى ما تتضمنه استعاراتها المعرفية من سلب وإيجاب، والتذكر الفطن لمغزى مايقوله شيخنا عبدالقاهر الجرجاني: «واعلم أنك لاتشفي الغلة، ولاتنتهي إلى ثلج اليقين حتى تتجاوز حد العلم بالشيء، مجملاً إلى العلم به مفصّلاً، حتى لا يقنعك إلا النظر في زواياه، والتغلغل في مكامنه» (٢) .

يحاول، هنا، جابرعصفور أن يحدد لنا شروط قراءة التراث، فدعا إلى تعمق النص بحد ذاته، فلا نسقط معارفنا الذاتية عليه، ولا نحاكمه وفق ظروفنا التاريخية ومعطياتنا الفكرية، إنه يريد أن يسعى إلى تأسيس منهج جديد ينتج معرفة جديدة بالتراث، فلا يكون صدى لأفكار جاهزة عنه، وإنما نتيجة استنباط فكر خاص به، وهو يدعو من أجل ذلك إلى الاستعانة بأدوات معرفية جديدة، قد تكون غريبة مستوردة، ولكن بشرط التزام الحذر في التعامل معها، فلا تطبق بشكل حرفي، إذا نجد في هذه الأدوات الغث والسمين، كما يدعو إلى التعمق بجزئياته وعدم الاكتفاء بإلقاء نظرة سريعة عليه لنصل إلى قراءة متعمقة وشاملة وموضوعية.

سنحاول أن نتابع إلى أي مدى نجح الناقد عصفور في التزام هذه الشروط حين قرأ التراث النقدي؟

ومن أجل الإجابة عن هذا السؤال، سنتابع قراءة الناقد لتراث الخليفة العباسي ابن المعتز في النقد، بوصفه نموذجًا للقراءة المعاصرة التي تتناول ناقدًا قديمًا ارتبط ارتباطًا وثيقًا بالصراع الذي وقع بين القدماء والمحدثين في القرن الثالث الهجري.

في البداية وجدنا جابر عصفور يضع ابن المعتز في قالب الفكر الحنبلي الذي يعتمد على مقولتين هما (الجبر والتقليد) لهذا يعدّه من أنصار تيار القدماء «النقلي» الذي مثله جماعة من اللغويين من ناحية وأصحاب الحديث من «أهل السنة والجماعة» من ناحية أخرى، ودليله على ذلك أن ابن المعتز يوم أعلن نفسه خليفة، اتخذ لقبًا هو «السني البربهاري» ليدل على التزامه بأصول الدين، كما أن صلته بأهل النقل أتت بوصفه واحداً من أبناء الخلافة العباسية التي انحازت - منذ عهد جده المتوكل إلى الحنابلة ونصرتهم على أهل العقل من المعتزلة، ولاينسى أثر أساتذته الذين كانوا من أبناء ذلك التيار مثل: ثعلب والمبرد وأحمد بن سعيد الدمشقي...إلخ.

لو تأملنا الأسباب التي جعلت المعتز ناقداً تقليدياً (عند عصفور) لوجدناها غير مقنعة، باعتقادنا، فاللقب الذي اتخذه (السني البربهاري) هو نوع من الطعم يكسب به تعاطف العامة أثناء صراعه على السلطة ولا علاقة له بإنتاجه النقدي.

أما أنه ينتمي إلى أسرة نصرت الحنابلة على أهل العقل من المعتزلة فلا يعني ذلك ضيق أفقه، أو عدم استخدامه العقل، فلاشك أنه اطلع على المجادلات الفكرية التي سادت ذلك العصر، إذ من المعروف أن المعتزلة لم ينته نشاطهم حين تبنّت السلطة العباسية رأي أصحاب النقل والسنة، ومازال الصراع والجدال بينهم وبين غيرهم من الفرق يشكل إيقاع الحياة الفكرية آنذاك.

أما أن أساتذته ينتمون إلى التيار التقليدي، فهذا لايعني أن التلميذ صورة لأستاذه دائمًا، فالنابغة يتجاوز أستاذه هذا إذا سلمنا بأن جميع أساتذته قد اتخذوا موقفًا واحدًا من الشعر المحدث، ولكن وجدنا منهم من يؤلف فيه كتابًا كأستاذه المبرد الذي ألف كتابًا بعنوان «الروضة» كما نجد في كتابه «الكامل» كثيرًا من الشعر المحدث.

إذًا يسعى الناقد عصفور إلى جعل «ابن المعتز» ينتمي إلي عالم فكري واجتماعي ثابت لحمته الجبر وسداه التقليد مما سينعكس على موقفه من الأدب إذ سيكون من أنصار الاتباع والتقليد ومن أعداء الحداثة، فأدى فهمه المغلوط للمكونات الفكرية لدى ابن المعتز إلى خطأ في تصنيف نقده وفكره، فيفسر أقواله في الشعر والشعراء وفق هذا التصنيف التقليدي لا يحيد عنه، لو تأملنا، مثلاً، مصطلح «الطبع» لوجدناه يرادف، في رأيه، النقل والتقليد، فالشاعر المطبوع لم يكن شاعرًا مبدعًا فهو يقول «لا تخرج أفكار ابن المعتز عن هذا الأفق النقلي لمعنى الطبع في آخر المطاف ولكنه لايتقبل الثنائية الحادة بين (القديم - المطبوع) و (الحديث المتكلف) على علاتها في كتاب (الطبقات)؛ بل يكيفها تكييفًا ضمنيًا يتناسب والغرض السياسي لكتابه من ناحية، وماحققته طريقة المحدثين في عصره من إنجازات لم يملك هو نفسه إلا التأثر بها في شعره ونقده من ناحية ثانية...» (٤).

إن عصفور لم ينفِ تأثر ابن المعتز بالشعر المحدث، لكنه يبقيه في إطار التقليد والنقل، ويرى فيه سفيرًا للشعر القديم أو ماكتب على طريقة الأقدمين، ولو صح هذا القول لوجدنا ابن المعتز من أنصار البحتري، لكننا لاحظنا حماسته لأبي تمام في آخر كتبه «طبقات الشعراء» بل نجده يستشهد فيه برأي البحتري في تفضيل أبي تمام على نفسه قائلاً: «جيّده خير من جيدي، ورديئ خير من رديه» فيرى ابن المعتز أنه قد أنصف في هذا القول لأن البحتري «لايكاد يغلط لفظ وإنما ألفاظه كالعسل حلاوة، فأما أن يشق غبار الطائي في الحذق بالمعاني والمحاسن فهيهات؛ بل يغرق في بحره، على أن للبحتري المعاني الغزيرة، لكن أكثرها مأخوذ من أبي تمام ومسروق من شعره» (٥).

وهذا تفضيل صريح لأبي تمام على البحتري، فهل يمكن أن يصدر هذا القول عن ناقد تقليدي رافض للشعر المحدث، الذي يمثله أبو تمام أصدق تمثيل، ولم نجده غير معجب، كما يرى عصفور، بالجانب الذي «يمثل انقطاعًا عن الأصول النموذجية القديمة، وتأسيسًا لأصول مناقضة حديثة».

لقد توقف عصفور عند رسالة ابن المعتز عن محاسن أبي تمام ومساوئه (التي لم يصلنا منها سوى المساوئ) حيث يبدو فيها الناقد مهاجمًا لطريقة أبي تمام المحدثة، لكن رأيه هذا قد تغير وظهر نقيضه في كتابه «طبقات الشعراء» الذي كتبه قبل وفاته بسنتين، والذي يمثل تطور ذوقه ونضج حكمه النقدي.

في الحقيقة إن الناقد عصفور لايتتبع تطور ابن المعتز، فلا نجده يلمح إلى الفترة الزمنية التي ظهرت فيها الرسالة والكتاب، ربما لأن هذه الإشارة قد تفسد عليه نظرته السكونية التي كونها عن ابن المعتز، فتخلخل أحكامه وتفسد موازينه؛ بل يجعل الرسالة التي ضاع قسم المحاسن منها، وبقيت المساوئ فقط مصدره الأساس.

كل ذلك ليجعل من ابن المعتز ناقدًا تقليديًا يرفض الشعر المحدث، مع أنه يورد رأي ابن المعتز في قصائد أبي تمام «التي ترتاح لها القلوب، وتجذل بها النفوس، وتصغي إليها الأسماع، وتشحذ بها الأذهان» فقدّم لنا بذلك تصويرًا دقيقًا لمزايا شعر أبي تمام، ومع ذلك لانجد عصفور يعلق على هذا القول، خاصة عبارة «تشحذ بها الأذهان»!

تُرى هل يستطيع ناقد تقليدي أن يقول مثل هذا القول؟! ثم أليست هذه العبارات أحكامًا نقدية أصلية تصلح لكل زمان ومكان؟! ألا تكشف لنا ماهية الشعر المبدع والعظيم بغض النظر عن طريقته وعن زمانه؟

لولم يكن ابن المعتز من أنصار الطريقة المحدثة في الشعر، لما وجدناه يؤلف كتابًا سماه «البديع» يتحدث فيه عن الأساليب التي شاعت في الشعر المحدث، صحيح أنه يتحدث في مقدمته عن أسبقية القرآن الكريم والأحاديث الشريفة والشعر القديم في استخدام وسائل البديع،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فيقول: «وقدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ماوجدنا في القرآن واللغة وأحاديث رسول الله ﷺ وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم، وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون البديع، ليُعلم أن بشارًا ومسلمًا وأبا نواس، ومن تقبلهم وسلك سبيلهم، لم يسبقوا إلى هذا الفن، ولكنه كثر في أشعارهم فعرف في أزمانهم حتى سمي بهذا الاسم، فأعرب عنه ودلّ عليه»(٦).

إن هذا القول، باعتقادنا، لايعني انتصارًا للقديم على الحديث؛ لأن الناقد يتابع إنجاز المحدثين في هذا المجال، كما نجده يعرِّف هذه الوسائل رغبة منه في توضيحها وإرساء دعائمها، وبذلك يصلها بجذورها القديمة، ويبين مدى تطورها عنه فيسعى بعمله هذا إلى تأصيل هذه الأساليب الحديثة، ويبرر تداولها.

لو تأملنا هذه المقدمة للاحظنا أنها لاتعني أن ابن المعتز كأستاذه يجعل كل «حسن» في إنجاز المحدثين منسوبًا إلى القديم دائمًا «ويوقع كل قبح على تباعدهم عنه، في فجاجة تأويلية، تفرغ إنجاز المحدثين من أي معنى للجدة، وتفرغ إرادة الجدة من أي موجب...» (٧).

هنا لابد أن نتساءل: هل الجديد قفزات في الهواء، لايطأ الأرض، ولا يمدّ جذوره فيها؟ إننا نعتقد أن الجدة لاتأتي من فراغ، وكل ما فعله ابن المعتز هو أنه ذكر في المقدمة أن هذا البديع قد وجد من قبل، فكيف نتهمه باتباع الأقدمين والهجوم على المحدثين؟!. ثم يتوقف عصفور عند أحكام ابن المعتز في مجال التطبيق، فيتابع مجالسه التي كانت تدور، باعتقاده، في الدائرة نفسها «تلقى الأبيات على الأسماع، ويتبارى الحضور في إخراج المخزون من المحفوظ، لتتم دورة قص الأثر أو شعيرة عبادة الأسلاف، فيعود كل بيت جديد إلى أصل قديم» (٨).

لكننا لم نجده متعبدًا في محراب السلف؛ بل وجدناه معجبًا بإنجازاتهم دون أن يُغفل نواحي الضعف لديهم، فمثلا، رغم إعجابه باستعارات ذي الرمة، نجده يتناوله بالنقد فيقول عن بيته:

أقامت به حتى ذوى العود في الثرى
وساق الثريا في فلاءته الفجر

«هذا لعمري نهاية الخبرة، وذو الرمة أبدع الناس استعارة، وأبرعهم عبارة إلا أن الصواب حتى ذوى العود والثرى؛ لأن العود لايذوي مادام في الثرى...» (٩) .

فهو لايكتفي بوضع يده على مواطن الضعف في الشعر، وإنما نجده يعطي البديل الأكثر جمالاً والأكثر دقة، لاعتماده المنطق والخيال الفني معًا.

كما نجد الناقد عصفور يستنكر إعجاب ابن المعتز بأولئك الشعراء الذين «جمعوا محاسن المولدين ومعاني المتقدمين»(١٠)كأنه يرى أن مايستحق الإعجاب هو الشعر المحدث الذي لا علاقة له بالقديم.

نلمس، هنا، نضج الناقد ابن المعتز، وعمق رؤيته للشعر المحدث، حين يراه غير منقطع عن إبداع السلف، وإنما هو استمرار له، في حين يجد الناقد عصفور في إنجاز المحدثين انقطاعًا عن إنجاز الأقدمين، لهذا يعلق على قول ابن المعتز «وكأن جماعة مثل أبي نواس والخليع وأبي هفان وطبقتهم، إنما اقتدروا على وصف الخمر بما رأوا من شعر أبي الهندي وما استنبطوا من معاني شعره» قائلاً :

«ليس المهم أن نناقش سلامة التفسير في هذا القول: فالأهم أن نلتفت إلى الغرض النقدي المهم الذي يحتويه، والعملية الذهنية التي يتولد عنها، فصفة الاقتدار التي يوصف بها النواسي وأقرانه المتأخرون، ليست نتيجة علاقة متميزة، وصلت بينهم وبين حاضرهم الخاص، أو تاريخهم المتعين؛ بل نتيجة ما قام به هؤلاء من (استنباط) لنموذج أسبق في الزمان والوجود عند المتقدمين من أمثال أبي الهندي الذي يستنبط بدوره من نموذج أسبق يرجع إلى العصر الجاهلي...» (١١) .

كأن الناقد في غمرة حماسته للشعر المحدث، ينكر على هذا الشعر تأثره بإنجازات شعرية سبقته، مع أنه يُعد تطوراً طبيعياً لها، باعتقادنا، كما أننا نحس كأنه لا يلتفت إلى الثقافة الشعرية وضرورتها، فالمقصود هنا، الثقافة الواسعة التي امتاز بها أبو نواس وغيره من المجددين، وليس تقليد نماذج سابقة عليهم، فمن المعروف عن أبي نواس أنه لم يبدأ بقول الشعر حتى كان يحفظ مئة

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

وخمسين ديوانًا من أشعار النساء فما بالك بأشعار الرجال!! ثم من منا يستطيع أن ينكر أثر الثقافة الشعرية على الإبداع الشعري؛ لأن الإبداع لن يكون متاحًا إلا لمن هضم إبداع الآخرين أولاً ثم تجاوزه.

وقد يقول ابن المعتز رأيًا في أحد الشعراء، فيأتي عصفور ويعممه على نقده فمثلاً: يتوقف عند مقولة ابن المعتز في أحدهم والألفاظ في عذوبة «الماء الزلال» و «المعاني أرق من السحر الحلال» فيقول الناقد عصفور معممًا: «فدنو المأخذ نقيض العمق والغموض، وقرين القرب والتسطح في الإدراك والتلقي على السواء فهو المعنى الذي لايستعين عليه بالفكرة، والذي ليس في حاجة إلى التأويل ولايعتمد على الإشارات البعيدة، أو الحكايات الغلقة، أو الإيماء المشكل، وهو المعنى الذي ينبسط في ظاهر الأشياء، فلا يحتاج إلى مكابدة الجهد الخلاق من الشاعر المبدع في الغوص على المعنى واكتشاف اللامسمى...» (١٢) ولكن إعجاب ابن المعتز بأبي تمام ألا ينقض هذا القول؟!

المشكلة أن لدى الناقد عصفور رؤية نقدية، يسقطها على النص النقدي فيصبح النص غريبًا عن ذاته، وينطق بأفكار ناقد اليوم لا ناقد الأمس، فينطق بأفكار عصرنا لا عصره ونرى إنجاز ابن المعتز في ضوء فكر غريب عنه، وبذلك تتحول قراءة ابن المعتز إلى قراءة جابر عصفور الذي نجده يهمل كل ماناقض أفكاره المسبقة فهو حين يتحدث عن هدف ابن المعتز من تأليف كتابه «طبقات الشعراء» (جمع ما وضعته الشعراء من الأشعار في مدح الخلفاء والوزراء والأمراء من بني العباس) فيعلق عصفور قائلاً: «وتلك عبارة لامعنى لها إلا توظيف الكتاب بوصفه عنصرًا من العناصر التي تستخدمها الأجهزة الأيديولوجية للدولة العباسية، ويحرص ابن المعتز في هذا التوظيف على الاحتفاظ بالشعراء البارزين الذين مدحوا آل بيته من بني العباس ... ويتجاهل الشعر الذي يمكن أن يعكر ذكره هذه الغاية (كالشعر الذي ينطق بسوء أحوال الرعية).....» (١٣) .

لو عدنا إلى كتاب «الطبقات»، ، وقرأناه قراءة دقيقة لوجدنا ابن المعتز يورد أبياتًا لأبي الفضة في ذم الدولة العباسية منها :

لا أحسب الجور ينقضي

وعلى الأمة والٍ من آل عباس (١٤)

وفي هذا ذم صريح لحكام الدولة، الذين أشاعوا الظلم والقهر في أرجاء دولتهم وهو لا يكتفي بذكر شعر المعارضة؛ بل نجده يذكر نثرهم في ذم العباسيين، فيورد قولاً لشاعر اسمه «درست المعلم» يرى رأي الخوارج، ويرى الدار دار كفر، ويقول عن العباسيين «عطلوا الأحكام وغيروها»، وقد قال الله تعالى : **﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾** (١٥).

فهو يعم العباسيين بأشنع تهمة يمكن أن توجه إليهم، وهي الكفر وعدم الالتزام بأحكام الشريعة، ومن يوثق هذه التهمة ويثبتها؟ إنه أحد أبناء الخلافة العباسية، وبذلك قدم لنا ابن المعتز مثالاً رائعًا لسعة الصدر وانفتاح الأفق واحترام الرأي المخالف، حتى لو كان هذا الرأي يسيء إلى سمعة دولته التي ينتمي إليها ويحلم أن يكون أحد حكامها!.

وقد رأى عصفور أن الترجمة لبعض مداحي العلويين أمثال دعبل الخزاعي لا تعنى ذكر القصائد التي تمس «الملك العباسي»، بل الاحتفاء بالقصائد التي مدح بها بنو العباس كأرجوزة دعبل في المأمون على سبيل المثال، لكننا لو عدنا إلى طبقات الشعراء لوجدنا ابن المعتز يورد أبياتًا لدعْبل يمدح فيها آل البيت معلنًا ولاءه لهم كقوله:

فاحشُ القصيد بهم وفرِّغْ فيهم

قلباً حشوتَ هواه باللذاتِ

واقطعْ حبالة من يريد سواهم

في حبهم تحلل بدار نجاة

ترى ألا تمس هذه الأبيات الملك العباسي، ألا تدعو صراحة إلى موالاة آل البيت؟

إذًا هناك عدم قراءة دقيقة لتراث ابن المعتز، أو ربما قرأ الناقد هذه الأبيات إلا أنه استبعدها لكونها لاتنسجم وفكرته عن ابن المعتز، وهذا ابتعاد عن روح الأمانة العلمية.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كما أننا لاحظنا أن عصفور يحمّل النص النقدي القديم مالا يحتمل، إذ يسقط عليه وجهة نظره المعاصرة، فمثلاً نجده يعلق على أحكام ابن المعتز العامة (حسنًا، مفلقًا، مليحًا، مقتدرًا....) بقوله «إن التسوية الانطباعية بين الشعراء المحدثين في هذا المستوى هي الوجه الأدبي للغرض السياسي من الكتاب، فكما أسقط هذا الغرض نفسه على "دلالة" المحدثين، في هذا المستوى، وقصرها على المدلول الزمني لمعنى المعاصرة للدولة العباسية وحدها؛ فإن هذا الغرض أسقط نفسه على دلالة مصطلح "الطبقات" وقرنها بالتسوية في القيمة الأدبية بين كل من اتصل بالدولة العباسية مادحًا أو طالبًا العطاء» (١٦) .

إننا نعتقد أن هذه الأحكام النقدية العامة جزء من طبيعة الأحكام المتداولة آنذاك، فلم يكن النقد، في معظم الأحيان، قد توصل إلى الأحكام المعللة والدقيقة كما هو عليه الآن، لذلك سيكون إسقاط أحكامنا النقدية على أحكام القدماء نوعًا من الغبن والابتعاد عن الموضوعية.

إذًا ليس من حقنا إسقاط مفاهيم عصرنا وأحكامنا على عصر ابن المعتز، كما أنه ليس من حقنا أن نسقط أفكارنا السياسية والطبقية على النص النقدي فنجعل ابن المعتز يصدر أحكامه العامة هذه لأن هؤلاء الشعراء من مداحي أسرته، فقد لانجد كل هؤلاء الشعراء المذكورين في كتابه قد مدحوها فعلاً.

وقد أوقع الناقد عصفور نفسه فيما اتهم به ابن المعتز، فقرأ تراث ابن المعتز قراءة واحدة سكونية، لم يلحظ تطوره وفق مراحل زمنية من مرحلة التكوين والبداية التي كان فيها أقرب إلى النقاد التقليديين، ثم مرحلة النضج التي أصبح فيها ناقدًا محدثًا من أنصار الجديد؛ بل نجد ابن المعتز ينتقد التقليديين الذين يرفضون المحدث لحداثته، ويفضلون القديم لقدمه، دون النظر إلى أسباب موضوعية للرفض أو القبول، فيرى أن هذا «الفعل من العلماء مفرط القبح لأنه يجب ألا يُدفع إحسان محسن، عدواً كان أو صديقًا، وأن تؤخذ الفائدة من الرفيع والوضيع؛ فإنه يروى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب .... أنه قال: الحكمة ضالة المؤمن، فخذ ضالتك ولو من أهل الشرك...» (١٧)، فكيف يمكن لمن يقول هذا القول أن نصفه ناقدًا تقليدياً ونعدّه تابعًا لأساتذته، كما فعل جابر عصفور! فجعل ممارسته النقدية أسيرة الاتباعية إذ هناك «محفوظ في الذاكرة من أشعار القدماء، مختار ومؤول ينتج اختياره وتأويله نموذجًا أصلياً لماضٍ مصنوع، متخيل، محله ذهن الناقد وليس الواقع التجريبي...» (١٨)

ألا تنطبق الجملة الأخيرة على الناقد عصفور؟ فهو منطلق، باعتقادنا، في قراءته النقدية لابن المعتز من أفكار مسبقة كونها في ذهنه، ولم ينظر إلى الواقع التجريبي الذي يناقض أفكاره، إذ نجده يقيّم فقط ابن المعتز اعتمادًا على وضعه الاجتماعي، فبما أنه ينتمي إلى الطبقة الحاكمة الأرستقراطية، فلابد أن يكون من دعاة الجمودالأدبي، لأنه يخاف أي تغيير في الأدب أو تجديد فيه، إذ سيكون ذلك منعكسًا على سلطة العباسيين مهددًا بزوالها في رأيه.

لهذا رسم لابن المعتز صورة في ذهنه سعى إلى إيجاد مايؤكدها في كتبه فيختار الشواهد الشعرية والنقدية والإخبارية التي تتطابق وجهة نظره هذه حتى إنه يجعل ابن المعتز متبنياً آراء غيره من النقاد، فجاء بقول من «الوساطة بين المتنبي وخصومه» لعلي بن عبدالعزيز الجرجاني، وقول آخرمن «الموشح» للمرزباني، يتحدث الرأي الأول عن عدم اهتمام العرب الفصحاء بفنون البديع أما الثاني فيرى أن أحسن الشعر «ما قارب فيه القائل إذا شبه، وأحسن منه ما أصاب الحقيقة» ليبين بذلك كيف رفض النقاد العرب – ومن بينهم ابن المعتز – الاستعارة، ودعوا إلى التشبيه، مع أننا لم نجد لابن المعتز رأيًا في الاستعارة، وإنما أسقط عليه عصفور آراء غيره من النقاد.

كل ذلك يؤدي إلي انسجام ابن المعتز مع الصورة التي رسمها له الناقد دون أن يعبأ بضياع صورته الحقيقية.

ويجدر بنا أن ننوّه إلى أننا لا ندعو إلى عزلة النصوص النقدية بعضها عن بعض فنحن نتفق مع عصفور في أن التراث النقدي لايمكن فهمه أو النظر إلى منجزاته إلا بشكل شامل ومتكامل، ولكننا لا نتفق معه حين يلغي خصوصية الناقد، ويجعله صدى

للآخرين، فيقدم بذلك صورة مشوّهة عنه، فقد أدى عدم التعامل بموضوعية مع إنتاج ابن المعتز إلى التجني عليه والإساءة في فهم موقفه النقدي قبل التعامل معه، وبذلك يقع الناقد بما كان قد حذّر منه في كتابه «قراءة التراث النقدي» فهو يرى أننا حين ننفي استقلالية النص «فإن الأيديولوجيا هي ماتنتهي إليه هذه النزعة، وخصوصًا حين تتسرب فيها تسلطية الحاضر، أو يحل فيها حضور الآخر، فتطغي بعض الأنساق المهيمنة، ضاغطة على وعي الذات القارئة التي تستجيب استجابة آلية غير شعورية في الأغلب، في فعل إسقاطي، يتحول معه المقروء إلى قناع للتوجيهات الاجتماعية والسياسية الأدبية لهذه الذات، وتتحول القراءة نفسها إلى تخييل غايته، تبرير هذه التوجيهات، وتهيئة الأفراد لتصديق هذا التبرير، والعمل بمقتضاه والنتيجة وعي زائف يحول بين الإنسان وإدراك العلاقات الفعلية في تاريخه أو تاريخ النص المقروء الذي يقرأ عنه أو فيه» (١٩).

إن هذا الكلام يصح كل الصحة على قراءة عصفور لتراث ابن المعتز، فكانت قراءة إسقاطية، ظهرت فيها تسلطية الحاضر على الماضي، وتحول النص التراثي المقروء إلى نص معاصر نجد فيه أفكار عصفور لا أفكار ابن المعتز!

إننا بمثل هذه القراءة نغمط التراث حقه، إذ نكرر نواتنا وننسى مايقوله لنا التراث، كما أننا بمثل هذه القراءة نغمط الحاضر حقه؛ لأننا لن نستطيع الاستفادة من التراث في تطوير وعينا بواقعنا والنهوض به على أسس سليمة وأصيلة.

إن ذلك لن يكون إلا بقراءة دقيقة واعية ومخلصة للتراث قد نستنجد بمناهج حديثة من أجلها، دون أن نشوّه إنجازاته فنسلط الأضواء على جوانبه المشرقة ولا ننسى جوانبه السلبية؛ لأننا نتعلم منها كما نتعلم من الجوانب المضيئة، وبذلك نستطيع أن نقوم بقراءة موضوعية للتراث، فيحيى في حاضرنا ومستقبلنا.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المصادر والحواشي

١- جابر عصفور « قراءة التراث النقدي» مؤسسة عيبال للدراسات والنشر، قبرص، ط١، ١٩٩١ المقدمة ص٥-٦.
٢- المصدر السابق ص٣٦.
٣- المصدر السابق ص٩.
٤- المصدر السابق ص١٦٩.
٥- عبدالله بن المعتز «طبقات الشعراء» تحقيق عبدالستار أحمد فراج، دار المعارف بمصر، دون تاريخ، ص٢٨٨٦.
٦- عبدالله بن المعتز «البديع» شرحه وعلق عليه محمد عبدالمنعم خفاجي، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط١ ١٩٤٥، ص١٥.
٧- قراءة التراث النقدي ص١٩٤.
٨- المصدر السابق ص١٨٣.
٩- محمد عبدالمنعم خفاجي «رسائل ابن المعتز في النقد والأدب والاجتماع» شركة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ط١، ١٩٤٦، ص١٠-١١.
١٠- قراءة التراث النقدي ص ١٧٢-١٧٣.
١١- المصدر السابق ص١٨٠.
١٢- المصدر السابق نفسه ص١٧٤.
١٣- المصدر السابق ص١٤٩.
١٤- «طبقات الشعراء» ص٣٧٩.
١٥- المصدر السابق ص٣٣٥.
١٦- قراءة التراث النقدي ص١٦٣.
١٧ أبو بكر محمد بن يحيى الصولي «أخبار أبي تمام» حققه وعلق عليه خليل محمود عساكر، محمد عبده عزام، نظير الهندي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٣، ١٩٨٠، ص١٧٦.
١٨- قراءة التراث النقدي ص١٧٨.
١٩- المصدر السابق ص٧٣.

كتب الأطفال ومبدعوها

سمر روحي الفيصل
حمص - سوريا

كارل ، جين / كتب الأطفال ومبدعوها ترجمة صفاء روماني .- دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٤م .

تطوّرت كتب الأطفال في الوطن العربي خلال العقدين السّابقين، وبدأت تحتلّ مكاناً، ولو صغيراً، في المكتبة العربية. ولهذا التّطوّر أسباب كثيرة لستُ، الآنَ في معرض الحديث عنها. بيد أنّه لابدّ من الإشارة إلى سبب واحد هو الإيمان بأنّ الطّفل العربيّ يحتاج إلى كتب تلبّي حاجتين أساسيّتين، هما القصص التي تُنمّي النّفس، والمعلومات التي تنمّي الإدراك. وهاتان الحاجتان أساسيّتان في بناء شخصيّة الطفل العربي، ولكنّ المشكلة تكمن في إعداد الكتاب القادر على تلبيتهما. ويفيدنا، في هذه الحال، الاطّلاع على تجارب الآخرين في إعداد كتاب الطّفل، على أن نحذر من التّماهي بهذه التّجارب لئلاّ نقع في تقليد ما لا نرغب فيه، ونتبنّى شيئاً لايلائم طفلنا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأمامي، الآن، تجربة جين كارل (Jean karl)، وهي مُحررة كتب الأطفال في إحدى دور النشر الأمريكية. وقد دوّنت كارل تجربتها، طوال عشرين سنة، في كتاب عنوانه: «كتب الأطفال ومبدعوها» Children's Books and their creatores ، ترجمته إلى اللغة العربية صفاء روماني، وصدر عن وزارة الثقافة السورية عام ١٩٩٤م. وهدفي، هنا، تقديم عرض لتجربة جين كارل كما قدمتها في كتابها المذكور، محاولاً أثناء ذلك التركيز على صناعة كتاب الطفل، وعلى بعض الملاحظات المتعلقة بالتجربة وترجمة الكتاب إلى اللغة العربية .

أودّ، باديْ الأمر، الإشارة إلى أن جين كارل «محرّرةُ» كتب للأطفال وليست مؤلّفة لها. ومهنة «التحرير» لا مقابل لها في صناعة الكتاب لدينا فيما أعلم. ولكنّ القريب منها لدينا هو القارئ الذي تُكلّفه دار النشر الرّسميّة أو الخاصّة بقراءة مخطوطة الكتاب، وتقديم رأيه في صلاحيتها للطباعة. ويتضمن هذا التكليف أحياناً كتابة ملاحظات القارئ حول الكتاب. وربّما كُلّف القارئ بمقابلة المؤلّف للتّداول معه في الملاحظات، بغية تنفيذها لصالح الكتاب والمؤلف معاً. ولكنّ مهنة «التّحرير» غير مقصورة على هذا الأمر في الغرب، إذ إنّ المحرّر موظّف في دار النّشر، مطالب – إضافة إلى ماسبق – بإعداد قوائم بالكتب التي ترغب دار النّشر فيها. وهي قوائم متكاملة، تحتاج إلى دراسة أنواعها وحجومها وتكاليفها ومدى رواجها. ولابدّ من أن تتوافر صفات خلقيّة وأدبيّة ولغويّة في هذا المحرّر، لأنّه مكلّف باقتراح أفكار على المؤلفين، وتوجيه اهتمامهم إلى جانب دون آخر في المعالجة. وقد يُضطرّ المحرّر إلى تصويب بعض الهنات، إضافة إلى أنه مطالب بالتكامل مع المصممين والفنّانين وعاملي الطباعة... وهذه كلها أمور ملازمة لمهنة التّحرير، ومن المفيد معرفتها لأنّ جين كارل محرّرة كتبٍ للأطفال تتحدّث عن تجربتها انطلاقاً من مهنتها فحسب. وسأذكر، ضمن الملاحظات، بعض إيجابيّات هذا المنطلق وسلبيّاته .

في كتاب «كتب الأطفال ومبدعوها» تسعة فصول في (١٨٣) صفحة من القطع الكبير. وقد لجأت جين كارل في بناء فصوله إلى أسلوب الأسئلة، وعبّرت عن ذلك في غالبيّة العنوانات التي اصطفتها لهذه الفصول. وفصول الكتاب هي:

١ – لماذا كتبُ الأطفال ؟

٢ – أيّ نوع من كتب الأطفال ؟

٣ – مَنْ هو المؤلّف ؟
٤ – أفكار على الورق .
٥ – هل هو كتاب جيّد ؟
٦ – قرار المحرّر .
٧ – من النّاشر إلى الكتاب النّاجز .
٨ – كتب الأطفال من الماضي إلى المستقبل .
٩ – قراءة كتب الأطفال .

ترى جين كارل أنّ أطفال اليوم أكثر تنوّعًا من أطفال الأمس، واهتماماتهم القرائيّة أكثر اختلافًا منهم، وإمكاناتهم في القراءة أكثر اتّساعًا، وحاجاتهم أكثر تعقيدًا. ولهذا السّبب فإنّهم يحتاجون – كما تُقرّر في الفصل الأوّل – إلى كتب تتلاءم وما يعرفونه وما هم عليه ومالا يعرفونه. ولا بدّ من أن تتلاءم كتبهم مع الحاضر ومع أذواقهم، وتتحدّث عن العالم كما هو دون مبالغة أو تبسيط، وتفهمهم وتُرضي اهتماماتهم الكثيرة وإمكاناتهم المختلفة. ذلك أنّ لدى أطفال اليوم وعيًا كبيرًا، ولكنّهم يجهلون كثيرًا من الأشياء التي كان سابقوهم يعرفونها. وهذا لايعني أنّ كتب الكبار تصلح للأطفال، لأنّ هناك فرقًا بين هذين النّوعين من الكتب، يتعلّق بالأمل الذي لابدّ من بثّه في كتب الأطفال، وبالإحساس بروعة العالم كما يوفّره المؤلّف، والعناية بالمغامرة وبأنّ الأطفال جزء من الطّبيعة المحيطة بهم.

انتقلت جين كارل في الفصل الثّاني إلى أنواع كتب الأطفال، فصنّفتها بين قصصيّة وغير قصصيّة.

– أمّا القصصيّة فهي: الكتب المصوّرة – الكتب الهزليّة – الكتب المصنّفة (قصدت بها الكتب التي تحدّد المرحلة العمريّة) – قصص المغامرات – قصص الغموض – كتب الخيال.

– أمّا الكتب غير القصصيّة فهي: كتب الدّراسات الاجتماعيّة والرّياضيّات والعلوم – الكتب المتعلقة بتطوير الذّات وكيفيّة القيام بعمل الأشياء – كتب الفنون – كتب السّير الذّاتيّة – كتب المقالة – الكتب ذات الموادّ المرجعيّة (قصدت بها الكتب التي جُمعت من عدّة مصادر ولم يؤلّفها كاتب واحد).

أضافت جين كارل كتب الشّعر والفنّ المسرحيّ، ولكنّها نصّت على أنّها كتب تنتمي إلى الصّنفين السّابقين ويمكن أن تستقلّ بنفسها. وخصّصت كارل الفصل الثّالث، بعد تحديد أنواع الكتب، للحديث عن مؤلّف هذه الكتب. فحدّدت أدواته، وخصوصًا مهارة التّفكير وتنظيم المادّة، وانتقاء المفردات والنّضج اللّغويّ. ورأت أنّ مؤلّف كتب الأطفال مطالب بالاهتمام بالنّموذج وبالقدرة العقليّة أثناء عمله أكثر من اهتمامه بنقل الأحداث الخاصّة بدقّة وأمانة. ولابدّ من أن ينظر المؤلّف إلى العالم كما ينظر الطّفل إليه، لأنّ الحقيقة في أيّ كتاب للطّفل هي جوهر الحصيلة النّهائيّة لخبرة الكاتب .

وطرحت جين كارل في الفصل الرابع السّؤال الآتي: كيف يبدأ المؤلّف الجيّد كتابه؟. وسعت إلى الإجابة عن هذا السؤال قائلة إنّ الكاتب يبدأ أوّلاً بتحديد فكرة الكتاب، ثمّ الشّكل الذي يريده لكتابه، فالمهارات الملائمة لهذا الشّكل، فطريقة الكتابة، ثمّ النّهاية التي يريدها له، وأخيرًا مراجعة الكتاب وصقله وإعادة كتابته أحيانًا. وخلصت كارل من الإجابة السّابقة إلى أنّ تحديد «الجودة» أمر عسير، ولكنّ إمكان الحديث عن مقاييس عامّة وأخرى خاصّة لكتاب الأطفال الجيّد وافرة. وهذه المقاييس، كما نصّت كارل، هي:

– المقاييس العامّة: الصّدق – الواقعيّة – المعقوليّة – قابليّة القراءة – العفويّة – الإيقاع – التّواتر – الوحدة – الشّعور بالحياة.

– المقاييس الخاصّة:

١ – في الأدب القصصيّ: الحبكة – الشّخصيّات – الخلفيّة – النّهاية.

٢ – في الأدب غير القصصيّ: التّركيز على المجال – التّنظيم – الوضوح – الدّقّة – الاهتمام.

خصّصت جين كارل مابقي من فصول الكتاب للحديث عن قرار المحرّر بإجازة الكتاب أو تعديله أو رفضه، ومايرتبط بذلك من مقابلة المؤلّف ومحاورته في شئون مخطوطته، وحاجة دار النّشر إلى نوع معيّن من الكتب دون سواه، وإمكان تحفيز المؤلّف على الكتابة في هذا النّوع أو في اتّجاه دون آخر. ثم توقّفت جين كارل عند علاقة المحرّر – بعد الموافقة على نشر الكتاب – بالمصمّم والرّسّام وعامل الطّباعة، فذكرت ضرورة حوار المحرّر معهم، وحرصه على استقلاليّة آرائهم، لأنّ كتاب الطّفل عمل جماعيّ وليس فرديًا.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واللافت للنّظر أن يدور الفصل التّاسع، وهو الأخير في الكتاب، حول قراءة كتب الأطفال. وليس المراد بهذه القراءة هنا قراءة الطّفل الكتاب الذي صُنع له، بل قراءة الكبير كتاب الطّفل. ذلك أنّ كارل مؤمنة بضرورة إقبال الكبار على قراءة كتب الأطفال، لأنّها تفيدهم في كثير من الأمور التي فاتتهم معرفتها، وخصوصًا الأساسيّات في العلوم والفنون. ولاتكتفي هذه الكتب - في رأي كارل - بتقديم المعرفة للكبير، بل تجعل هذا الكبير يفهم الطّفل جيّدًا، فيعرف طرائق نظرته إلى العالم، واهتماماته، وحاجاته، ممّا يعزّز ارتباط الكبير بالطّفل. وقد حدّدت كارل لقراءة الكبير كتب الأطفال مجموعة من القواعد العامّة والخاصّة، وهي:

١ - القواعد العامّة:

- أن يقرأ الكبير كلّ كتاب لذاته.
- أن يتعامل الكبير مع كتاب الطّفل على أنّه شيء نفيس.
- أن يبحث الكبير في كتاب الطفل عن أفضل مايقدّمه الكتاب للطّفل.
- أن يختار الكبير كتب الأطفال الجيّدة لقراءتها.

٢ - القواعد الخاصّة:

- أن لايترك الكبير ذاته البالغة خلفه عند القراءة، وإنّما يدخل الكتاب مزوّدًا بها، لأنّ الطّفل «قد يستطيع في بعض الأحيان رؤية جوهر المشكلة قبل الكبير، لأنّه لايرى جميع الاحتمالات في موقف معيّن كما يفعل الكبير. ونتيجة لذلك فإنّه لايتورّط بالتّوقّف عند تفصيلات غير مهمة بالطّريقة التي يتورّط فيها الكبير».
- أن لايتردّد الكبير في أن يجعل كتاب الطّفل مصدراً للبحث عن أيّ شيء يريده.

تلك سياحة في الأفكار التي قدّمتها جين كارل في كتابها «كتب الأطفال ومبدعوها». ويمكنني القول إنّ إيجابيّات هذا الكتاب كثيرة، فهو:

١ - ينطلق من أنّ كتاب الطّفل عمل جماعيّ وليس فرديّاً، يسهم فيه المؤلّف والمحرّر والمصمّم والفنّان وعمّال الطّباعة. ويُشترط في هذا العمل الجماعيّ أن لاينفرد طرف برأي، وأن تتكامل الأطراف كلّها لتصنع كتابًا جيّدًا مقبولاً من الطّفل، قادرًا على إمتاعه والتّأثير فيه.

٢ - يحتاج الطّفل إلى أنواع من الكتب، ولايمكن لنوع واحد أن يلبّي حاجاته النّمائيّة. وإذا كان الأدب القصصيّ شائقًا، يحبّه الطّفل ويُقبل عليه، فإنّ ذلك لايعني الاكتفاء به والعزوف عن الأدب غير القصصيّ. ويكتسب تنوّع كتب الأطفال قدرًا آخر من الأهمّيّة حين نتذكّر أنّ اهتمامات الأطفال القرائيّة متنوّعة، فبعضهم يميل إلى قراءة كتب الخيال العلميّ، وبعض آخر منهم يميل إلى قراءة القصص، وبعض ثالث يفضّل كتب العلوم والسّير الذّاتيّة .. وهذا كلّه يؤكّد الحاجة إلى مكتبة للأطفال لايطغى فيها نوع على الآخر، سواء أكان أدبياً أم علمياً أم جغرافياً أم غير ذلك.

٣ - تؤكّد المؤلّفة أنّ الطّفل ليس راشداً مصغّراً، بل هو إنسان مُفكّر ذكي يرغب في أن يتعرّف حاضره دون زيف. ولابدّ من أن تتوافر في كتب الأطفال صفات تلبّي حاجات هذا الإنسان في حاضره، وتُعدّه للحياة في المستقبل. ومن الضّروري أن يعي المؤلّفون والمحرّرون والفنّانون ذلك أيضًا، لئلاّ تتمّ صناعة كتاب بسيط لا يأبه الطّفل به، أو معقّد لايستطيع الطّفل التّواصل معه.

٤ - إنّ كتب الأطفال مطالبة بالحقيقة، حقيقة الحياة. وتقديم الحياة الحقيقيّة بحلوها ومرّها يحتاج إلى «الأمل». وفي هذه الحاجة تختلف كتب الأطفال عن كتب الكبار، لأنّ كتب الأطفال تعرض مشكلات الحياة، ولكنّها تترك الطّفل يأمل بالقضاء عليها، فلا يُصاب باليأس والإحباط. وهذا الأمل ليس تزييفًا للحياة الحقيقيّة، بل هو حاجة تربويّة ضروريّة لتنمية شخصيّة الطّفل.

كتاب جين كارل مفيد، لأنّ تجربتها في تحرير كتب الأطفال طوال عشرين سنة كوّنت لديها خبرة بالطّفل وبالكتاب الجيّد الملائم له. ولكنّ الكمال عسير على البشر، ومن ثَمّ كانت هناك هنات يمكن تلافيها، منها:

١ - إنّ جين كارل محرّرة تتحدّث عن خبرتها في بيئة أمريكيّة، وهذه البيئة تختلف عن البيئة العربيّة في أشياء كثيرة، أبرزها المفهوم التّربويّ. والمراد هنا أنّنا في الوطن العربيّ مطالبون بأن لايقتصر كتاب الطّفل على المتعة والإثارة والمعرفة، فهذه جوانب تربويّة مهمّة، ولكنّها غير كافية، ولابدّ من أن نضيف إليها قيمنا العربيّة وعاداتنا وتقاليدنا في الحياة الأسريّة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والعامّة. ومن ثَمّ نضيف إلى الوظيفة الفنّيّة لكتاب الطّفل وظيفة تربويّة، تُنمّي شخصيّة الطّفل العربيّ في اتّجاه حضاريّ روحيّ إنسانيّ غير ماديّ. وربّما قيل إنّ هذا الأمر بعيد عن مؤلّفة أمريكيّة تكتب للأمريكيّين. وهذا القول غير صحيح، لأنّ الوظيفة التّربويّة غير مقصورة على أمة من الأمم، وإنما هي ضربة لازب في أيّ كتاب يُصْنَع للطّفل في أيّ مكان من العالم وإن اختلفت القيم والعادات والتّقاليد وصور المجتمعات في حاضرها وغدها المأمول. وقد أغفلت جين كارل هذه الوظيفة التّربويّة، لأنّها محرّرة وليست أديبة أو عاملة في حقل التّربية.

٢ – إنّ جين كارل محرّرة وليست أديبة، ومن ثَمّ اكتفت بإشارات موجزات إلى الأسلوب اللّغويّ الذي تُصاغ فيه كتب الأطفال. ولم يكن لدى كارل مانع من التّرخُّص في الأسلوب شريطة تماسكه. ولا أعرف أنّ هناك شيئًا يسمح بهذا التّرخُّص، وإن كنتُ أدرك أنّ الأسلوب في كتاب الطّفل يحتاج في العالم كله إلى دراسات وافرة بدأت طلائعها تتّضح لدى بعض النّقّاد. والحقّ أنّ أمر الأسلوب لا تُغني فيه الإشارة الموجزة، ولا اللّمحة العابرة. ولكنّ الشّيء المحدّد فيه هو سلامة اللّغة، وهي سلامة تترخّص جين كارل فيها أيضًا، فلا ترى بأسًا في بعض الأغلاط اللّغويّة والنّحويّة والإملائيّة إذا كان المعنى مفهومًا من الطّفل. ونحن – ضمن الوظيفة التّربويّة – نحرص على أن تُقدّم كتب الأطفال بلغة عربيّة سليمة خالية من الشّوائب، ونرفض التّهاون في اللّغة والخطأ فيها، لأنّ الطّفل يتعلّم اللّغة من الكتاب الذي يقرأه بشكل غير مباشر، فتنمو ذائقته اللّغويّة وتنعكس على لغته وقدرته على تذوّق الجمال في الاستعمالات اللّغويّة.

٣ – إنّ جين كارل محرّرة وليست أديبة تملك معرفة بأثر لغة الكتاب في الطّفل. والمراد هنا اختلاف لغة الكتاب عن لغة الوسائل السّمعيّة والبصريّة، وخصوصًا التّلفاز. فالتّلفاز وغيره من الوسائل الحديثة التي اكتُشفت أو ستكتشف في المستقبل لا تغني الطفل عن القراءة في الكتاب، لسبب واحد أساسيّ هو أنّ إيحاءات اللّغة المطبوعة مختلفة عن إيحاءات اللّغة المسموعة. ففي حين تسمح الكلمة المطبوعة بإطلاق خيال الطّفل إلى عوالم شتّى، تروح الكلمة في التلفاز تُجسّد الخيال في صور محدّدة متلاحقة تترك الطّفل لاهثًا وراءها، غير قادر على التّمليّ منها وتخيُّل ما وراءها. وماتُقدّمه اللّغة في الكتاب المطبوع يحتاج إلى أديب يدرك أسرار اللّغة المجازيّة، وعلاقاتها بمخيّلة الطّفل. وهذا الإدراك بعيد عن جين كارل، لأنّها محرّرة مَعْنيّة بصناعة ذات خطوات تبدأ بالمؤلّف وتنتهي بالكتاب المطبوع، دون أن تمتدّ عنايتها إلى فقه اللّغة في كتاب الطّفل.

٤ – في كتاب «كتب الأطفال ومبدعوها» هنات أخرى نابعة من التّرجمة والطّباعة. ويمكنني إجمال هذه الهنات في نقطتين:

أ – تُقدّم ترجمة كتاب جين كارل مثالاً على الحاجة إلى المهارة في استعمال علامات التّرقيم. فقد أُهملت هذه العلامات أحيانًا، فتداخلت الجمل وغمض المعنى، وضاعت الفروق بين التّمنّي والتّعجّب والاستفهام، وبدا النّصّ – في بعض الأحيان – قطعة واحدة لاتمييز فيها بين الجمل القصيرة المتّصلة المعنى، والجمل الطّويلة المتّصلة المعنى أيضًا. ولو استعملت المترجمة الفاصلة والفاصلة المنقوطة بدقّة لخلت مقاطع كثيرة من التّداخل وغموض الدّلالة.

ب – تحتاج التّرجمة إلى تدقيق لغويّ ونحويّ وإملائي للتخلّص من هنات يمكن تلافيها بسهولة. وهذه أمثلة من الهنات أذكرها على سبيل التّمثيل لا الحصر:

– لم يخوضه – أن يكتب موضوع يتطلب – لم يحتويها – كما أنّ فيه مكان – تصبح قاعد صلبة وأساس تستند إليه.

– الإلتفات – الإستكشاف (تحويل همزة الوصل إلى همزة قطع كثير جداً في التّرجمة) – تنشأن – يهيء – قُرّاءًا.

– تتواجد – وفيرة – يرغب بكذا – يرغب كتابًا – تؤثّر على.

ومهما يكن أمر الملاحظات السّلبيّة فإنّها تبقى هيّنة مقبولة، يمكن عزو بعضها إلى الطّباعة وعدم التّدقيق في «تصحيح النّصّ»، من غير أن تؤثّر في ترجمة هذا الكتاب المفيد للقارئ العربيّ.

نجد (*) ومفاتنه الشعرية
لخالد بن محمد الخنين

عبداللطيف حسين أرناؤوط
اتحاد الكتاب العرب
دمشق - سوريا

الخنين، خالد بن محمد / نجد ومفاتنه الشعرية؛ تقديم عبدالكريم اليافي.- ط١ .- بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ٤٧٥ص .

لهضبة نجد في شعرنا العربي صورة متميزة، وحضور ملحوظ يصعب تعليلهما أو ردهما إلى سبب معين، فلو عزونا ذلك إلى كثرة الشعراء في هذا البلد عبر عصور الأدب، لما عرفنا بلدانًا أخرى برز منها شعراء كثيرون غير أنهم لم يتعلقوا بأوطانهم ولم يبرزوها في شعرهم، تعلق الشاعر النجدي بوطنه، ولو أرجعنا الظاهرة إلى طبيعة الوفاء في أهل نجد للوطن وساكنيه، لما كنا مجانبين للصواب، وقد نردّ ذلك إلى طبيعة هذا البلد، من حيث وصفها رؤبة بن العجاج بقوله: (شهر ثرى، وشهر ترى، وشهر ترعى، وشهر استوى) فهي منبت العرار والخزامى والحوذان والأقحوان والريحان، ومهد النخيل ومنها هاجر الكثير إلى مصر وما بين النهرين.

وهي بلد الأجواد ومنهم حاتم الطائي، والشجعان الفوارس ...

على أن أقوى الأسباب كلها رقة في طبع نجد، ورهافة في الشعور وصدق العواطف، فلا غرابة أن يكون موطن الغزل العذري العفيف (وادي القرى) قرب نجد. وهو غزل يعكس سمو نفوس أهله، وثباتهم على الحب، ونبلهم الإنساني، ومن عجب أن عدوى التعلق بنجد من أهله وساكنيه قد امتدت إلى غير أبنائه من الشعراء حتى أصبح الحنين إلى نجد تقليداً لدى الشعراء العرب، فبرقها يذكر بالأحبة أينما كانوا، وريحها الرقيقة تحمل رسائل الوجد واللهفة إلى العشاق .

ونجد في جغرافيتها الحالية هضبة مترامية الأطراف في الجزيرة العربية، تقع بين صحراء النفوذ في الشمال والربع الخالي في الجنوب وبين الحجاز شرقًا والأحساء غربًا، غير أن الباحث خالد بن محمد الخنين في مؤلفه بعنوان (نجد ومفاتنه الشعرية) يستعرض تعريفات لبلدة نجد متباينة عند القدامى، فقد قيل: حد نجد هو اسم للأرض الأريضة التي أعلاها تهامة واليمن وأسفلها العراق والشام، وروي عن ابن السكيت أنه قال: سمعت الباهلي يقول: كل ما وراء الخندق الذي خندقه كسرى على سواد العراق، فهو نجد إلى أن يميل إلى الحرة فإذا ملت إليها، فأنت في الحجاز، غير أن شعر الشعراء في نجد لا يشير إلى هذه التسمية الواسعة في أغلب أشعارهم، وإن كان يوحي أحيانًا بهذا المعنى...

يقول أبو الحسن التهامي :

فإن يكُ شخصي بالثغور فمهجتي
(بنجد) سقاه المزن صوب غمامة

والشاعر من تهامة، وهو يعدها من نجد. في حين يذهب ابن الأعرابي إلى أن «نجداً» ما بين العذيب إلى ذات عرق، وعرق أول تهامة إلى البحر، فهو يخرج تهامة من نجد. وفي معجم البلدان لياقوت الحموي ورد أن (كل مرتفع عن تهامة فهو نجد).

ومهما يكن من أمر؛ فإن نجداً أوحت بأروع ما كتب في أدبنا من شعر في الحنين إلى الأهل والديار، فالنجدي يفارق وطنه والأسى والحسرة يغمران قلبه :

أقول لصاحبي والعين تهوي
بنا بين المنيفة والضمار
تمتع من شميم عرار نجد
فما بعد العشية من عرار

والمؤلف خالد بن محمد الخنين نجدي الأرومة، ولعله امتحن بفراق نجد بحكم أنه يعمل في السلك الخارجي، وعانى من الغربة، مما زاد تعلقه بوطنه الذي تغنى به

الشعراء، وكان من دأبه أن يشفي حنينه بسماع ما قاله الشعراء في نجد، ثم جمع ما ورد في دواوين الشعر العربي حتى توافرت له مادة غنية حقاً، ما كان يخطر ببال دارس الأدب أن تكون في هذا الحجم، وخرج بها إلى الناس كتاباً أنيق الطباعة، حسن التبويب ومادته من صفوة ما قيل في شعرنا العربي، إذ ليس في أبياتها ضعف أو التواء، وإنما هي من الجودة لأنها بنت العاطفة اللهفى، والشعور الصادق، مما يثبت أن أجمل الشعر أصدقه تعبيراً عن شعور صاحبه.

وقد تحدث عبدالكريم اليافي في مقدمته ... عن الشعر النجدي، وسر تعلق شعراء أبناء نجد بوطنهم، فرد ذلك إلى طبيعة أرضها وأهلها، وكثرة الشعراء المبرزين فيها. وقد أبرز صلة النجدي بأرضه ونباتها وحيوانها، ثم وصف مناخها اللطيف المعتدل، وفي ذلك كله ما يفتق قرائح الشعراء، ويشد أبناءها إلى الإقامة فيها حتى يسوءهم السفر العابر، فتجود عاطفتهم بالحنين إليها وذكر ديارها ومحاسنها:

سلم على قطن إن كنت نازله
سلام من كان يهوى مرة قطنا
أحبه والذي أرسى قواعده
حباً إذا ظهرت آياته بطنا
ياليتنا لا نريم الدهر ساحته
وليتها حين سرنا غربة معنا
ما من غريب وإن أبدى تجلده
إلا تذكر عند الغربة الوطنا

وإذا كان (الخنين) قد استرشد في مختاراته بذكر كلمة (نجد) في كل شعر جمعه، فإن (اليافي) يوسع أفق الاختيار وفرصه، فيستأنس بما يعرفه من أسماء شعراء نجد ومواطنيهم، وما قيل في جبال نجد ووديانه، وعشاقه الغزليين حتى تكشفت لنا حقائق عن نجد ماكنا نعرفها أو نفطن إليها، فقد أظهر في مقدمته أن ماقيل في نجد يتجاوز بكثير ماأورده (الخنين) في المختارات. وأن شعراء نجد يكادون يحتلون نصف ديوان الشعر العربي .

أما (الخنين) فقد بيّن هدفه من جمع المختارات. إذ عكف على العمل بدافع انتمائه إلى وطنه، وحرصه أن تعم المتعة والفائدة لمن يحبون نجداً وما قيل فيها، ونضيف إلى أنه قدم بهذا العمل فائدة جليلة لدارسي الأدب والمهتمين بالعادات والتقاليد وشئون المجتمع من الباحثين مثلما أسهم في جمع معجم جغرافي وعلمي يتناول أسماء الأماكن والمعالم في نجد، والنبات والحيوان فيها، وشتى المناسبات التاريخية التي أشار إليها الشعراء مما ينفع المؤرخ، ودارس الأدب. أما منهجه في تصنيف مختاراته، فيشير إليه في مقدمة الكتاب قائلاً: (وقد رتبت القصائد ترتيباً معجمياً حسب القوافي... وخرجت كل قصيدة من مصادرها، فأثبت هذه المصادر في أسفل كل قصيدة، ثم شرحت الكلمات التي تحتاج إلى الشرح وأحببت أن أترجم للشعراء والشواعر على نحو موجز، وجعلت ذلك بعد قصائد الشعر في نهاية الكتاب...

وإتماماً للفائدة، ولسهولة العودة إلى الكتاب. وضعت فهارس فنية له تشمل: فهرس الشعر- القوافي- فهرس تراجم الشعراء على الترتيب الهجائي - المصادر والمراجع- فهرس الموضوعات).

ولم يشأ المؤلف أن يرتب ما جمع ترتيباً زمانياً ومكانياً، وإنما آثر أن يقدمه للقارئ بالعفوية ذاتها التي تقدم بها القصائد نفسها، فنجد أبياتاً للطرماح (١٢٥هـ) في نجد يستهل بها المؤلف مجموعته تليها أبيات لمهيار الديلمي (٤٢٨هـ). فلا يجمع بينهما تسلسل زماني أو ارتباط مكاني.

وأما خطته في الجمع، فقد اختار القصائد التي وردت فيها كلمة (نجد) من الشعر العربي القديم والحديث، حتى تجاوز ما جمعه حدود مصطلح كلمة نجد أحياناً، فلم تكن بعض مختاراته تتجه بالخطاب إلى (نجد) البلد المعروف، وإنما كان المقصود بالنجد فيها المرتفع من الأرض كقول الشريف الرضي:

سجايا رعين المجد في تلعاته
دنا قلن في العلياء غوراً إلى نجد

فالنجد هنا بمعنى المكان المرتفع، والشاعر يوري في الأبيات في كلمتي العلياء ونجد.

وخالد الخنين دقيق النقل، أمين في رواية النص، أفرد لتخريجه حقلاً مخصوصاً ذكر فيه المراجع والمصادر التي اختار منها، مثلما شرح مفرداته وتراكيبه. ووضع مدخلاً لغوياً وجغرافياً للكتاب تحدث فيه عن معنى كلمة نجد، وتعريف نجد من الناحية الجغرافية قبل أن يسرد

ARCHIVE

النصوص. وذلك كي نعيش لحظات مع أروع ما كتب في الحنين إلى «نجد» من خلال هذه المختارات. ففي الثبات على حب «نجد» يقول الشاعر مهيار الديلمي :

يا سائق الركب غربيا وراءك لي
قلبا إلى غير «نجد» غير منقلب

هكذا يسير ركب الشاعر أما قلبه فلا يتحول عن وطنه.

والشاعر الدمشقي ابن الخياط... يتعشق نسيم «نجد» وعبيره الطيب في مطلع تقليدي، وقد كان ربا صباها يفقده صوابه:

خذا من صبا نجد أمانا لقلبه
فقد كان رباها يطير بلبه
وإياكما ذاك النسيم فإنه
متى هب كان الوجد أيسر خطبه
خليلي لو أحببتما لعلمتما
محل الهوى من مغرم القلب صبه

وكذلك نلمس حنين الشاعر الصِّمَّة القشيري إلى أحبته في «نجد» ولعله من أعظم الشعراء الذين خلدوا هذا البلد في أشعارهم، يقول:

إذا ما أتيتم أهل نجد وعربت
قلائص أدتكم وقد طال دربها
فمني عليهم فاقرؤن تحية
يخص بها شبان قرى وشيبها
تحية مشتاق إلى أن يراهم
ورجي أماثيل يفدى غريبها
إذا ما أتتنا الريح من نحو أرضكم
أتتنا برياكم فطال هبوبها
أتتنا بطيب المسك خالط عنبرا
وريح الخزامى باكرتها جنوبها

وللبرق النجدي نصيب في شعر الشعراء؛ لأنه سنا المحبوبة في نظر الشاعر المتصوف ابن الفارض، يقول:

أوميض برق بالأبيرق لاحا
أم في ربا نجد أرى مصباحا
أم تلك ليلى العامرية أسفرت
ليلا فصيرت السماء صباحا

وتراب نجد يعدل كل غلال الأرض في نظر الشاعر عمار بن البولانية حين يقول:

ألا ليت لي نجداً وطيب ترابها
بهذا الذي يجري عليه النوارج

والندى في نجد حين يباكر الحصباء فيبلها ألذ وأشفى من ماء أي بلد فقال الشاعر:

تلفت من حلوان والدمع غالبا
إلى أهل نجد أين حلوان من نجد
لحصباء نجد حين يضربها الندى
ألذ وأشفى للعليل من الورد

وثرى نجد ينبت أشواقًا في قلوب المحبين، ويسلب فؤاد الخلي فيشجيه. يقول الشاعر علي بن الحسين بن علي «صردر» :

النجاء النجاء من أرض «نجد»
قبل أن يعلق الفؤاد بوجد
إن ذاك الثرى لينبت شوقاً
من حشا ميت اللبانات صلد
كم خلي غدا إليه وأمسى
وهو يهذي بعلوة أبو بهند

ونساء نجد أجمل النساء، فهن يستقبلنك بجيش من الجمال :

وظباء فيه تلاقي الموالي
والمعادي من الجمال بجند
بشتيت من المباسم يغري
وسقام من المحاجر يعدي
أنفت من براقع الخز والقز
خدور قد برقعوها بورد

وحب النجديات لا شفاء منه، فهو عالق بالقلب، وأهلها يتغزلون ولو شابوا ، وقد أنشد الشاعر الأصمعي لأعرابي من نجد يدعى دوسر:

وقائلة ما بال دوسر بعدنا
صحا قلبه عن آل ليلى وعن هند
فإن تك أثوابي تمزقن للبلى
فإني كنصل السيف في خلق الغمد
وإن يك شيب قد علا لي فربما
أراني في ريع الشباب مع المرد
طويل يد السربال أعين للصبا
أكف على ذفراي (١) ذا خصل جعد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والشاعر ابن الدمينة الذي كان العباس بن الأحنف يطرب ويترنح لشعره، لا يجد لنفسه شفاء من الحب النجدي، وهو البدوي الصادق في حبه ؛ يقول بعد مطلع أبياته المعروفة:

أإن هتفت ورقاء في رونق الضحى
على غصن غض النبات من الرند
بكيت كما يبكي الوليد ولم تكن
جليداً وأبديت الذي لم تكن تبدي
وقد زعموا أن المحب إذا دنا
يمل وأن النأي يشفي من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا
على أن قرب الدار خير من البعد
أحن إلى نجد فياليت أنني
شقيت على سلوانه من هوى نجد

وشعر البداة والأعراب في «نجد» شعر مطبوع، يبدو أكثر صدقًا من شعر المتأخرين الذي استعادوا الحنين إلى «نجد» أسلوبًا تقليديا يستهلون به قصائدهم...

قال أعرابي وقد سمع صوت حنين الدواليب «النواعير»:

حنت وليس تحن من وجد
وأحن من طرب إلى نجد
فدموعها تحيا الرياض لها
ودموع عيني أحرقت خدي
وبساكني نجد كلفت وما
يغني بهم كلفي ولا وجدي
لو قيس وجد العاشقين على
وجدي لزاد عليه ما عندي

وأكثر أولئك البداة الأعراب، قد أغفل تاريخ الأدب أسماءهم، ولعلهم نظموا البيت أو البيتين ولم يلهج لسانهم بالشعر إلا في «نجد» والحنين إليها، فقد نزعتهم البعوث والقوافل الحربية من ديارهم، ولم يألفوا الاغتراب من قبل فسال الشعر على ألسنتهم صادقًا:

أكرر طرفي نحو «نجد» وإنني
إليه وإن لم يدرك الطرف أنظر
وما نظري من نحو «نجد» بنافعي
أجل لا، ولكنني إلى ذاك أنظر
أفي كل يوم نظرة ثم عبرة
لعينيك مجرى مائها يتحدر

متى يستريح القلب إما مجاور
بحرب وإما نازح يتذكر

وليست البلدان الأخرى في نظر هؤلاء الشعراء كنجد الوطن، وأين جمال الصحراء من صخب الديكة والسنانير في الريف، وهذه بنت نجد الشاعرة رامة بنت الحصين ترد الحضر فلا تستطيبه، وتحن إلى البدو فتقول:

ياليت شعري وليت أصبحت غصصا
هل أهبطن قرية ليست بها دور
لقد تبدلت من نجد وساكنه
أرضاً بها الديك يزقو والسنانير

ومن يتأمل اليوم حركة الهجرة من المدن، يجد عجبًا، فقد تحول الإنسان العربي من عاشق لبراعة الطبيعة.. إلى مستسلم لإغراءات المجتمع العربي. وما يوفره من حاجات المجتمع الاستهلاكي، مع أنه يستبدل بالهواء النقي السم الزعاف، مثلما يستبدل بنظافة الصحراء وبعدها عن التلوث وما توفره للإنسان من فضاء، زحام المدن وضجيجها .

وتغدو «نجد» عند الشاعر «الأبيوردي» رمزًا للعروبة الصافية، إذ يشعر بالتغرب وهو يسكن بين قوم ليسوا عربًا:

فهل سبيل إلى نجد وساكنه
يهز من ألف المصرين للظعن
هل أهبطن بلاداً أهلها عرب
لم يشربوا غير صوب العارض الهتن
إن يجمع الله شملي - يا هذيم - بهم
فلست ما عشت بالزاري على زمن

وهكذا ؛ نرى أن صورة «نجد» ومفاتنه الشعرية رائعة ما رسم مثلها أدبنا لبلد، ولا تدانيها إلا صورة «لبنان» في شعر المهجريين، والبلدان يتقاربان جمالاً وارتفاعًا، مثلما يتقارب أهلهما حبّاً للوطن وشغفًا به، وإن كانت هجرة النجدي محدودة لم تتعد ديار العروبة والإسلام؛ فإن هجرة اللبنانيين كانت أبعد مدى وأكثر غربة بحكم أنها نقلت الإنسان العربي إلى طبيعة غريبة عنه من عادات وتقاليد وقيم.

الهوامش

* نجد : يجوز فيه التذكير باعتبار لفظه وأنه بلد، والتأنيث باعتباره أرضًا أو هضبة أو بلاداً .

١ - الذفران : العظمان الشاخصان وراء الأذن .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الرسائل الجامعية

نشر الكتاب في جامعات دول مجلس التعاون الخليجي
مع التركيز على مجالي العلوم والتقنية

رسالة دكتوراه لفهد بن محمد بن سعود الدرعان

الدرعان ، فهد بن محمد بن سعود / نشر الكتاب في جامعات دول مجلس التعاون الخليجي مع التركيز على مجالي العلوم والتقنية : دراسة تحليلية نقدية .- رسالة [دكتوراه] .- إشراف علي بن إبراهيم النملة .- الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية العلوم الاجتماعية ، قسم المكتبات والمعلومات ، ١٤١٥هـ / ١٤١٦هـ .

لهذه الدراسة أهمية خاصة ترجع إلى الحاجة الماسة لدراسة النشر بالجامعات الخليجية التي تقوم بحركة نشر طيبة ذات أبعاد عددية وموضوعية متنوعة ومتقدمة ، إذ إن هذا النشاط النشري لم يلق العناية الكافية من قبل، والسبب في ذلك ربما يرجع إلى ظن كثير من الباحثين أن ليس لدى الجامعات المعنية نشر ذو بال ، وأن النشر بها مقتصر على إصدار الأدلة والكتب الإحصائية وكتب التقارير ونحوها، ولهذا تصدى الباحث لهذا الموضوع استكمالاً لما بدأه في المرحلة السابقة التي خصصها لتغطية النشر على مستوى الجامعات السعودية ، والتناول الحالي تميز عن السابق بعدة أمور ، هي :

١ - توسيع دائرة المكان لتشمل جميع الجامعات الخليجية الاثنتي عشرة متوزعة على دولها الست.

٢ - توسيع دائرة الزمان لتغطي بدء حركة النشر بها إلى نهاية عام ١٤١٢هـ .

٣ - توسيع دائرة الموضوع لتشمل معطيات جديدة ؛ مع التركيز على مجالي العلوم والتقنية ، ودراسة ما تنشره الجامعات الخليجية في ضوء المواصفات الدولية القياسية الصادرة من *المنظمة الدولية للتقييس* (ISO) ، التي تمت الموافقة عليها من لدن مركز المواصفات والمقاييس التابع للمنظمة العربية للتنمية الصناعية والتعدين .

٤ - تحديد نطاق الشكل ليقتصر على الكتاب فقط، ويرجع ذلك إلى أن الكتب قد حظيت بعدة مواصفات وافقت عليها الدول العربية عبر المنظمة المعنية بذلك .

وقد قام الباحث بدراسة الموضوع من جميع جوانبه وأبعاده المتعددة، الواردة في خطة الدراسة ومنهجها المذكورة بالفصل الأول منها، حيث تمت تغطيتها بشكل شبه كامل، إلا أنه وبالاتفاق مع المشرف تم استبعاد عملية المقارنة التي ينبغي أن تكون بين الجامعات الخليجية وجامعات أمريكية وبريطانية مختارة، ويرجع ذلك إلى عدة أمور ، هي :

١ - اتضاح عدم جدوى القيام بعملية المقارنة المطلوبة، والسبب في ذلك يرجع إلى أن الجامعات الخليجية والجامعات الأمريكية والبريطانية جميعها تحتكم إلى المواصفات القياسية العالمية التطبيق .

٢ - كون هذه الجامعات تطبقها بشكل أفضل فيرجع إلى أنها أقدم وجوداً من الجامعات الخليجية .

٣ - يضاف إلى ذلك أن أغلب المواصفات التي

صدرت في المجال كان منشؤها من الجامعات الأجنبية نفسها .

٤ – كما أن عملية المقارنة – فيما لو ضُمنت الدراسة – سوف تؤدي إلى تضخمها أكثر مما هي عليه الآن دون جدوى علمية ذات أهمية .

٥ – في الوقت نفسه لا تشكل هذه المقارنة هدفًا مستقلاً أو سؤالاً من أسئلة الدراسة .

٦ – كما أن معوقات إدارية حالت دون السفر برحلة علمية إلى كل من بريطانية والولايات المتحدة الأمريكية، لهذا كله أسقطت من الدراسة .

ومن ناحية أخرى تمكن الباحث – بعد فضل الله وتوفيقه – من إعطاء صورة – قدر الإمكان – حقيقية وقريبة عن واقع النشر بهذه الجامعات، إذ كشف في دراسته كثيرًا من خفايا النشر وشئونه ، وترجمه إلى واقع يمكن فهم معظم معطياته وخصوصياته ، كما يستطيع أن يؤكد على بذله لجهود مضنية قام بها، ومع ذلك فهي جهود بشرية يكتنفها الخطأ والصواب، وتتأثر بمدى تعاون المعنيين وحرصهم على بذل المساعدة ، وهي صعاب تضاف إلى الصعوبة المتمثلة في توزع هذه الجامعات على أكثر من دولة مما اضطره للسفر إليها ، ولبعضها أكثر من مرة لمتابعة الاستبانات والحصول على المعلومات من مواطنها الأصلية قدر الإمكان .

هذا ؛ توزعت الدراسة على عشرة فصول وخمسة ملاحق ، حيث جاءت الفصول على النحو الآتي :

الفصل الأول : خطة الدراسة ومنهجها .

الفصل الثاني : النشر الجامعي (الأكاديمي) مفهومه وأسسه .

الفصل الثالث : مناقشة المواصفات القياسية الدولية وتحليلها (ISO).

الفصل الرابع : تاريخ نشر الكتاب في الجامعات الخليجية.

الفصل الخامس : اتجاهات النشر في الجامعات الخليجية .

الفصل السادس : قنوات النشر في الجامعات الخليجية .

الفصل السابع : النشر الجامعي الخليجي في ضوء المواصفات الدولية .

الفصل الثامن : قواعد النشر وإجراءاته في الجامعات الخليجية .

الفصل التاسع : توزيع المنشورات الخليجية وتسويقها .

الفصل العاشر : النتائج والتوصيات .

أما عن الملاحق الخمسة التابعة للدراسة فهي :

الملحق الأول : قائمة بالمواصفات والمعايير الدولية ذات العلاقة بمجال النشر ، التي تمت الموافقة عليها من قبل مركز المواصفات والمقاييس التابع للمنظمة العربية للتنمية الصناعية والتعدين .

الملحق الثاني : قواعد النشر ولوائحه بالجامعات الخليجية .

الملحق الثالث : أنماط من عقود النشر الخليجية واتفاقاته ، وتلك النماذج الموحدة المستخدمة في تسيير حركة النشر بها .

الملحق الرابع : ويشتمل على :

أ – استبانة عن نشر الكتاب بالجامعات الخليجية، وزعت على مسئولي النشر بها .

ب – استمارة جمع معلومات مخصصة للمكتبات المركزية بالجامعات الخليجية .

ج – استمارة جمع معلومات مخصصة للمكتبات التجارية .

د – نموذج تقييم تم بموجبه تقييم الكتب التي تم اختيارها حسب العينة العشوائية .

هـ – بعض الخطابات التي استشهد بها الباحث في فصول الدراسة .

الملحق الخامس : قائمة بالمنشورات الجامعية الخليجية .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الضبط الببليوجرافي والتحليل الببليومتري في علم المكتبات والمعلومات

لأمين سليمان سيدو

سيدو ، أمين سليمان / الضبط الببليوجرافي والتحليل الببليومتري في علم المكتبات والمعلومات: دراسة تطبيقية على مجلة شعر -- رسالة [دكتوراه] -- إشراف عبدالستار بكيس بايفيج دربساليف -- ألما آتا جامعة كازاخستان الوطنية ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م ، ٢٤٤ ورقة .

تتيح الدراسات المعلوماتية لآداب الموضوعات المختلفة، أو قطاعات أو أعمال معينة منها وسيلة للاستكشاف العلمي لخصائصها الببليوجرافية، والتوصيف الإحصائي الكمي لها، والتقصي المنهجي لمقولاتها .

ومن أهم أنواع هذه الدراسات البحوث الببليومترية التي يقع في نطاقها هذا البحث، الذي تناول عملاً محدداً من أدب اللغة العربية الحديث، وهو مجلة (شعر) ، التي اختيرت بوصفها عينة قصدية لدورها في حركة الشعر العربي المعاصر .

وكان حصر محتوياتها المنشورة خلال فترة الدراسة حجر الزاوية في إجراء هذا البحث ، فقام الباحث بالتحليل الموضوعي ، فالتوثيق المقنن لها، وشكلت المعلومات المجمعة المتصلة بتلك المحتويات ومتغيراتها المبحوثة مادة التحليل في هذا البحث .

ويرى الباحث أن هناك عدة فرضيات تحدد مشكلة البحث ، منها :

١ - ما تتميز به مجلة شعر من موقع استراتيجي مهم في جغرافية الوعي الثقافي العربي الحديث، ومرجعية هذه المجلة في كثير من القضايا الأدبية المعاصرة

٢ - البنية الموضوعية لأدبيات البحث الشعري العربي الحديث .

٣ - جغرافية الإسهام العربي في أدبيات الشعر الحديث .

٤ - التركيبة اللغوية للأدب المترجم .

٥ - النقد الأدبي للأعمال الأدبية المنشورة .

ويهدف البحث إلى تحقيق الأمور التالية :

١ - وصف وتحليل طبيعة بحوث المجلة .

٢ - الموازنة بين الموضوعات التي تناولتها المجلة، مع التركيز على قضية الترجمة من الآداب الأجنبية إلى العربية، وذلك باستخدام الأساليب الببليومترية .

٣ - الكشف عن إسهامات الشعراء والكتاب، واتصالتهم بالمجلة خلال مدة زمنية محددة من تاريخ الشعر العربي المعاصر .

٤ - تأطير حركة الكتاب ، والدراسات النقدية والتحليلية للكتب، مما يظهر مدى اهتمام المجلة بالنقد مقارناً بالموضوعات الأخرى .

٥ - الضبط الببليوجرافي لمواد المجلة، والتجميع الموضوعي لها، وتنظيمها بطريقة علمية مقننة .

وهذا بحث ببليومتري وصفي، ومن هنا فقد توسل لتحقيق أهدافه بمنهج البحث الببليومتري التحليلي، والوصفي في القياس والتحليل الإحصائي المقارن للبيانات المجمعة عن المتغيرات الببليوجرافية المدروسة وتوصيف خصائصها الببليوجرافية .

وأما بالنسبة لمنهجية صنع الكشاف ؛ فإنه قد أعدَّ وفق منهج التحليل الببليوجرافي الاستنادي لمحتويات الدوريات، بحيث اعتمدت رءوس

موضوعات مقننة في التحليل والتغيير الموضوعي عن محتويات المجلة، واتبعت قواعد الفهرسة الأنجلو - أمريكية في الوصف الببليوجرافي لمداخل الكشاف ، كما روعيت قواعد التصنيف الألفباتي في ترتيبها في متن الكشاف.

وقام الباحث بترجمة حياة يوسف الخال منذ مولده في سورية سنة ١٩١٧م ، وحتى وفاته في لبنان سنة ١٩٨٧م، مع التركيز على دوره في الحياة الفكرية والثقافية والأدبية، انطلاقًا من الأسس التالية :

١ - أنه رائد من رواد الحداثة في الشعر العربي المعاصر .

٢ - أنه مؤسس مجلة شعر ورئيس تحريرها منذ صدورها وحتى وتوقفها .

٣ - أنه المنظِّر الحقيقي لمستقبل الشعر العربي المعاصر .

وقد كانت محاضرته التي ألقاها في الندوة اللبنانية ببيروت عن «مستقبل الشعر العربي في لبنان» صورة متكاملة للحداثة الشعرية، معبرة عن رؤياه .

ولما كانت مجلة شعر تعدّ نموذجًا تطبيقيًا لهذا البحث، فقد رأى الباحث أن يلقي الضوء على هذه المجلة، ومراحل صدورها، وتوقفها عن الصدور عدة مرات ، والعوامل التي أدت إلى هذا التوقف، وبيان المناخ الأدبي والفكري العام في العالم العربي، مع التركيز على قضية الحداثة والتجديد في الشعر العربي التي تبنتها مجلة شعر ، ويستخدم هذا البحث الأساليب الببليومترية في تحليل وقياس المتغيرات الببليوجرافية المدروسة، وتوصيف خصائصها الببليوجرافية في الفقرات التالية :

١ - التشتت الموضوعي .

٢ - التوزيع اللغوي .

٣ - التأليف .

تناولت المعالجة الإحصائية لمادة البحث قياس النسب المئوية ، والمتوسطات الحسابية ، وتحليل التباين للمتغيرات المدروسة .

وقد تمخض تحليل المعلومات المجمعة عن المتغيرات المدروسة عن النتائج المهمة التالية :

١ - تنوعت موضوعات المجلة بين الأدب، والفن ، والفكر والثقافة بشكل عام ، وإن كان للشعر نصيب أكبر ؛ فإن المجلة أنشئت أصلاً للشعر .

٢ - اهتمت المجلة بفنون إبداعية أخرى - غير الشعر - كالقصة ، والمسرح ، والفن التشكيلي ، والموسيقا، والسينما ... وغير ذلك .

٣ - ركزت المجلة على قضية الترجمة من الآداب العالمية المختلفة ، باستثناء الأدب الروسي، فإنه غاب عن مسرح الترجمة، وكذلك بعض الآداب الشرقية، وأدب أمريكا اللاتينية والأدب الياباني.

٤ - تصدر الأدب الفرنسي بفنونه المختلفة ترجمات المجلة قياسًا بغيره من الآداب العالمية المترجمة.

٥ - لوحظ أن بعض الترجمات لم تنسب إلى مترجميها، وأعتقد أن القائمين على المجلة هما المترجمان : يوسف الخال ، وأدونيس .

٦ - حرصت المجلة على نشر النصوص المترجمة بلغاتها الأصلية بجانب الترجمة العربية لها.

٧ - نشرت المجلة قصائد من الشعر اللبناني العامي، وقد يكون مردّ ذلك دعوة يوسف الخال المعروفة بـ «اختراق جدار اللغة» ونشرت أيضًا أشعارًا عامية مترجمة من الشعر الأمريكي .

وبعد إجراء الدراسة وظهور نتائجها ؛ فإن الباحث أوصى بما يلي :

١ - دراسة ببليومترية لخصائص أدبيات البحث في فنون الأدب العربي المعاصر من القصة ، والمسرحية ... إلخ .

٢ - دراسة ببليومترية لاتجاهات الترجمة إلى العربية من الآداب الأجنبية .

٣ - دراسة ببليومترية للمنشورات الأدبية الدورية باللغة العربية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٤ – تحليل الاستشهادات المرجعية لأدبيات البحث في الشعر العربي المعاصر ، وبقية فنون الأدب العربي المعاصر .

٥ – زيادة الاهتمام بعمليات تكشيف الدوريات ، والتحليل الموضوعي للمواد المنشورة .

٦ – اعتماد الببليومتريقا مادة علمية رئيسة في المناهج الدراسية لأقسام المكتبات والمعلومات في الجامعات العربية .

حماة في العصر الأيوبي

لمنى فريد مصطفى عثمان

مصطفى ، منى فريد / حماة في العصر الأيوبي : دراسة تاريخية -. رسالة [ماجستير] -. إشراف أحمد إبراهيم شعراوي -. القاهرة : جامعة عين شمس ، كلية البنات ، قسم التاريخ ، ١٤١٥هـ -. ٣٢٠ ورقة .

ظلت إمارة حماة الأيوبية دون اهتمام كافٍ من الباحثين ولم يدون عنها سوى مرجع موجز بعنوان «تاريخ حماة» لأحمد بن إبراهيم الصابوني، يوجد بالهيئة العامة المصرية للكتاب . مما دفع الباحثة إلى اختيارها ودراستها دراسة تاريخية أظهرت فيها الجانب السياسي والعلاقات المتشابكة لها علي مدى العصر الأيوبي وجزء من العصر المملوكي . وقد بدأت الباحثة بتمهيد تناولت فيه موقع حماة الجغرافي وتقسيماتها الداخلية ثم لمحة تاريخية عن حماة منذ القدم حتى دخولها تحت حكم صلاح الدين الأيوبي، ثم قسمت موضوع الرسالة إلى ثلاثة فصول رئيسة :

١ – الفصل الأول : الأيوبيون وبلاد الشام «٥٦٨ – ٦١١هـ / ١١٧٢ – ١٢١٤م» وتضمن النقاط التالية :

- الصراع مع الأتابكة والسيطرة الأيوبية على الشام.
- هجمات الفرنجة على حماة للحد من سيطرة صلاح الدين الأيوبي على الشام .
- حماة في ظل الأسرة التقوية والتي تشير إلى منح صلاح الدين الأيوبي حكم حماة إلى ابن أخيه تقي الدين عمر مؤسس الأسرة التقوية .
- ولاية المنصور محمد لحماة .

٢ – الفصل الثاني : تناول الصراعات الداخلية والخارجية التي تعرضت لها مملكة حماة «٦١٧ – ٦٣٨هـ / ١٢٢٠ – ١٢٤٠م» وقد تضمن :

- المنازعات بين أبناء العادل الثلاث ورغبة كل منهم في فرض سيطرته على الممالك الأيوبية الصغيرة.
- أثر وفاة الملك الكامل محمد على حماة : وتعرضها لهجمات جيرانها .
- موقف حماة من تولي الصالح نجم الدين أيوب حكم مصر .

٣ – الفصل الثالث : وقد بدأ بذكر وفاة المظفر تقي الدين صاحب حماة ، ويتناول النقاط التالية:

- قيام دولة المماليك في مصر وأثر ذلك على البيت الأيوبي في الشام .
- هجمات التتار على بلاد الشام وموقعة عين جالوت .
- أحوال بلاد الشام في ظل سلطنة الظاهر بيبرس .